

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة العدد ١٤٤ جمادى الآخرة ١٤٣٦ هـ

إيران المشكلة وليس الحل

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراسات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة







رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٤٤)
جمادى الآخرة - ١٤٣٦ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

إيران المشكلة وليست الحل

برغم الغزو الإيراني الصريح والواضح لعدد من العواصم والدول العربية، والتهديد بغزو عواصم ودول عربية أخرى، وبرغم مئات الآلاف من القتلى والمصابين والمعتقلين بسبب القوات الإيرانية وميلشياتها الطائفية من العراق وسوريا ولبنان واليمن وأفغانستان وباكستان وطاجكستان وغيرهم، وبرغم ملايين المهجرين وتدمير البنية التحتية لعدد من المدن والدول، فإن بعض الساسة والمثقفين والإسلاميين العرب لا يزالون يعتقدون أن إيران جزء من الحل وليست المشكلة!!

ولا تدري هل الباعث على هذه الرؤية هو الجهل بحقيقة دوافع ومنطلقات السياسة الإيرانية وأن هذا العدوان الطائفي الصريح والمكشوف هو حقيقة المعتقد الشيعي الذي يكفّر ويخوّن ما عداه ومن ثم يستحل أموال وأعراض ودماء المخالفين له وخاصة المسلمين؟!!

أم أن الباعث على هذا الموقف الأعوج هو الخوف والجبن من العدوان والطائفية الإيرانية، خاصة وهم يرون الخيانة أو الضعف الأمريكي المتمثل في مسايرتها لإيران وتغاضيها عن كل جرائمها في سبيل عقد صفقة حول سلاحها النووي.

لا تدري أيهما هو الباعث الصحيح على هذا الموقف، وإن كانا باعثين كارثيين بكل المعايير، فإن بقاء الجهل بحقيقة المعتقد الشيعي وأبعاده التكفيرية والعدوانية بعد كل هذه الجرائم الموثقة بالصوت والصورة، والمتكررة عبر عدة سنوات وفي عدد من البلاد، دون خجل أو وجل، لهو كارثة تدل على مقدار خواء قياداتنا السياسية والدينية والثقافية، وأننا ابتلينا بقيادة عمياء خرقاء، لن توردنا إلا إلى الهاوية.

وإن كان الباعث على ذلك الجبن والخوف، فيا مصيبتنا إذ تبين أن من نعده للدفاع عنا هو بحاجة لمن يدافع عنه وينافح، وأنه قد استسلم قبل أن يحاول أن يقف في وجه العدوان الإيراني الطائفي، وأن كل تلك المليارات المنفقة على السلاح والتدريب تبخرت في الهواء!

وهذا الجهل والجبن سببهما البعد عن منهج الله عز وجل، وشريعة الرحمن، التي تأمر بإعداد العدّة، ومن أول مراحل الإعداد معرفة حقيقة العدو، ولنا في سؤال النبي ﷺ في غزوة بدر عن عدد الإبل التي يذبحها جيش قريش لطعامه كل يوم، لتقدير عددهم، دليل ونبراس أهمية معرفة الخصم بدقة وبالتفاصيل، وفي طلب النبي ﷺ من أصحابه أن يجيبوا أبا سفيان عقب معركة أحد، حين قال: أعلُ هبل، فيردوا عليه بقولهم: الله أعلى وأجل، وحين قال: لنا العزّى ولا عزّى لكم، أمرهم النبي ﷺ أن يردوا عليه بقولهم: الله مولانا ولا مولى لكم، وذلك في حنكة وعبقرية وبديهة حاضرة ومعرفة بخلفيات ومنطلقات قريش العقدية، وهذا الذي يفتقده غالب الساسة والإسلاميين والمثقفين في العدوان الإيراني الطائفي.

فهم إن كانوا جاهلين - وبعضهم

يتجاهلون- بالمعتقد الشيعي والمحرك لكل الملالي والعمائم في طهران وفروعها عبر العالم فهذه كارثة، وفي الوقت الذي يرفضون فيه (الإسلام السياسي السني) فهم منفتحون حتى العمق على (الإسلام السياسي الشيعي) برغم طائفيته المعلنة ودمويته الظاهرة وعدوانه المستمر!! ويتساءلون باستغراب لماذا تتناقض تصريحات الملالي عن حماية المستضعفين مع قتلهم لهم وحصارهم وحرقهم واغتصاب نسائهم في إيران والعراق وسوريا ولبنان والبحرين واليمن؟ وكأن هؤلاء ما سمعوا يوماً بعقيدة التقية عند الشيعة، وكأنهم ما شاهدوا ولو مقطعا من آلاف المقاطع على اليوتيوب والتي يكفّر الشيعة فيها المسلمين قديماً وحديثاً ويستحلون دماءهم وأموالهم وأعراضهم!!

فعلى هؤلاء أن يتعلموا حقيقة التشيع وما ينطوي عليه من تكفير وعدوان للمسلمين على وجه الخصوص، وأن ما تقوم به إيران اليوم من إجرام وعدوان في بلاد المسلمين هو عندهم من أعلى مراتب الدين والطاعات، فمن لم يبنِ سياسته على هذه الحقيقة فإنما يبني قصورا في الفراغ وأوهاما وأحلام يقظة، وسينتبه متأخراً حين يكون ضحية لغدرهم وعدوانهم.

وإن كان الجبن والخوف هو الذي يدفع هؤلاء الساسة والإسلاميين والمثقفين لتعليق آمالهم على الحل الإيراني، فليبشروا بالعبودية والذلة والمهانة، من قوم يحتقرونهم من جهة الإسلام الذي يدينون به ولو بالاسم فقط، ومن جهة القومية العربية ولو كانوا شيعة، وها هي الأحواز العربية شاهدة على إجرامهم وعدوانهم وطائفيتهم وعنصريتهم ضدها، ويستوي في ذلك الشاه العلماني والملا الخميني.

ومما يتذرع به بعض الساسة والمثقفين للدعاية للتعاون مع إيران، هو ضرورة مشاركة إيران في محاربة الإرهاب والتطرف المتمثل في داعش، وهذه الحجة هي مما تحتار العقول السليمة في كيفية رواجها على ساسة ومثقفين، ألهذا الحد وصلت البلاهة والسذاجة بمن يفترض فيهم القيادة ونشر الوعي؟

وبعيدا عن التطويل في بيان تلاعب إيران والشيعة بتنظيم القاعدة ومن بعده بداعش، نكتفي بتصريح الأخضر الإبراهيمي، الذي جامل نظام بشار الأسد على حساب الألوف من أرواح الشعب السوري، حيث قال في حواره مع صحيفة الوطن السعودية (٢٠١٥/٣/٦): «إن بشار فتح الباب أمام داعش لارتكاب كثير من الفظائع حتى يدفع المجتمعَ الدوليَ إلى دعمه لمواجهة الإرهاب»، وأيضا تصريح رئيس الوزراء التركي أحمد أوغلو مؤخرا عن علاقات نظام بشار بالقاعدة وقيادات داعش فيما بعد من أيام وساطته بين المالكي وبشار.

فإيران وحلفاؤها هم من ضخّموا داعش ومِن قبلها القاعدة لتبرير أعمالهم الطائفية بمحاربة الإرهاب، ويبدو أنهم قد نجحوا في ذلك، فها هو بشار بعد أن كان منبوذاً وطويت صفحته، أعيدت له الحياة وأصبح طرفاً أساسياً في الحل السياسي الذي ينادي به بعض الساسة والمثقفين والإسلاميين! وها هي إيران أصبحت الشريكة الأولى للشيطان الأكبر في محاربة داعش، وأصبحت تتعالى الأصوات من هنا وهناك بضرورة التعاون مع إيران لمحاربة الإرهاب، وكأن إيران لها تاريخ عريق في الاعتدال والوسطية والتسامح والانفتاح!

ولكن حين يجتمع الجهل والخوف من جهتنا، مع الخبث والكيد والدس من جهة إيران وأذنابها، والتآمر والخيانة والغدر من روسيا، والانتهازية من قبل الغرب وأمريكا، فمن المنطقي أن تكون هذه حالنا: إيران تتمدد والمسلمون والعرب يتشتتون.

ما لم نعدل المعادلة المائلة وتقوم سياستنا وثقافتنا وإعلامنا على أن إيران عدو ومشكلة مثلها مثل إسرائيل فلن نسلم من شرورها، وسنبقى نتلقى الطعنات في الظهر من إيران الطائفية، ونتفرج على دمائنا وهي تسير على وقع تلك الطعنات الغادرة والآثمة.

المجمع العالمي لأهل البيت... مافيا إيرانية لنشر التشيع

معتز بالله محمد(*)– خاص بالراصد

تأسس المجمع العالمي لأهل البيت بأمر مباشر من المرشد الأعلى للثورة الإيرانية عام ١٩٩٠ بهدف «نشر معارف أهل البيت وترسيخ الوحدة الإسلامية والعمل على اكتشاف وتنظيم وتعليم ودعم أتباع العترة الطاهرة عليهم السلام» وهو ما يعني بكلمات أخرى نشر التشيع، وتغذية ودعم المد الشيعي بكافة الطرق الممكنة حول العالم.

والمجمع أشبه ما يكون بشبكة دولية، أو بالأحرى دولة شيعية عالمية مصغرة هدفها وضع مشاريع وخطط دورية لنشر التشيع في العالم تشرف على تنفيذها شخصيات رفيعة المستوى من النخب والرموز الشيعية حول العالم، ولعل البند الرابع في بيان المجمع عن أهداف التأسيس، يكشف الكثير من آلية عمله واعتماده ميزانيات ضخمة لتجنيد العملاء والأتباع، حيث ينص هذا البند على «مكافحة الفقر والجوع والمحاولة لإيجاد السلام الدولي، توسعة الأسس المادية والمعنوية لأتباع أهل البيت(ع) في العالم والمساعدة على نمو وإصلاح الوضع الفكري، والثقافي، والسياسي والاقتصادي، والاجتماعي لأتباع أهل البيت(ع)».

تحركات ونشاطات المجمع في الدول السنية تتم تحت غطاء تحقيق الوحدة الإسلامية، وهو الشعار الذي قد لا يخلو منه أي من بياناته، لكن المتابع لأنشطة المجمع لا يجد عناء في اكتشاف اصطفاف هذه المنظمة قلبا وقالبا إلى جانب المشروع الطائفي لاسيما في دول مثل العراق وسوريا ولبنان والبحرين وأخيرا اليمن.



يتكون المجمع من هيئات وأذرع مختلفة تتنوع نشاطاتها المعلنة بين طرح ومناقشة البرامج ووضع الأهداف وآليات العمل، والخطط الثقافية والاقتصادية في مختلف الدول حول العالم لدفع المشروع الشيعي.

(*) كاتب مصري.

الجمعية العامة

إذا ما شبّهنا المجمع العالمي لأهل البيت بدولة مصغرة، فيمكننا أيضا تشبيه الجمعية العامة للمجمع بمواطني هذه الدولة، فهي التي تصوّت على انتخاب الهيئة العليا التي تعد حكومة هذه الدولة المفترضة. وتتكون الجمعية العامة من نخبة المجتمعات الشيعية، ومثقفيها ومفكريها من أنحاء العالم، وتنعقد الجمعية ويلتقي أعضاؤها مرة كل أربع سنوات، فيما يسمى بملتقى الجمعية العامة، وتتم خلاله طرح المقترحات وبحث الآليات لتحقيق الأهداف، إضافة للموافقة على قرارات لتطوير الوضع الثقافي، والاجتماعي، والاقتصادي والقانوني للشيعة حول العالم.

الهيئة العليا

وتتكون من ٢٥ عضوا من دول مختلفة، غالبيتهم من إيران، وبعضهم من العراق ولبنان والسعودية والبحرين، ودول إفريقيا السمراء، ومن ضمنهم حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله اللبناني، والكويتي حسين المعتوق، والبحريني عيسى قاسم.

والهيئة العليا للمجمع العالمي لأهل البيت هيئة شورية مكونة من مجموعة من الأعضاء المرموقين الذين يتم اختيارهم من بين أعضاء الجمعية العامة ويقع على عاتق هذه الشورى مسؤولية المصادقة على الخطوط العامة، وتقنين البرامج، وتحديد ميزانية المجمع وكذا الإشراف على مجالاته التنفيذية.

الأمين العام

إذا كانت الجمعية العامة تنتخب الهيئة العليا فإن الأخيرة تتولى انتخاب أرفع شخصية تنفيذية في المنظمة وهو الأمين العام، وقد تعاقب على هذا المنصب منذ تأسيس المجمع عام ١٩٩٠ حتى وقتنا هذا أربعة أشخاص هم آية الله محمد علي التسخيري والسياسي المعروف الدكتور علي أكبر ولايتي وآية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي وأخيرا آية الله الشيخ محمد حسن أختري، الذي يتقلد المنصب منذ عام ٢٠٠٤.

اللجان (المعاونيات)

وتنقسم إلى عدد من اللجان المنضوية تحت إمرة الأمين العام وتشمل النشاطات الدولية والثقافية، والتنفيذية، والاقتصادية، وتتولى تحقيق سلسلة من الأهداف من بينها الاقتصادية، كالنشاطات الخيرية والاقتصادية الهادفة إلى دعم الشيعة، ومن المرجح أن هذه الأموال تأتي من الميزانية الضخمة التي تقدر بعشرات الملايين من الدولارات التي يرصدها المرشد الاعلى للثورة الإيرانية لنشاطات المجمع، إضافة لتبرعات الشيعة المعروفة بأموال الخمس.

وعبر هذه الأموال أيضا يتم ترغيب وتحفيز الشيعة وإيجاد المكونات الدينية والمراكز الثقافية، فضلا عن دعم النشطاء في المجال الديني والمبلغين المحليين. وكذلك إنشاء وحماية المواقع الإلكترونية الإسلامية وإقامة الملتقيات الوطنية، والإقليمية والعالمية. ويبذل المجمع جهودا كبيرة في دعم الإعلام الشيعي التوسعي.

شورى تقنين المناهج الثقافية

هذه الشورى التي تتكون من خمسة من أعضاء الجمعية العمومية، هي الذراع الإعلامي والثقافي للمجمع، والذي يهدف لتحقيق غزو ثقافي شيعي في كافة المجتمعات، لاسيما السنية وذلك من خلال عدة آليات، أهمها استقطاب كتاب سنة أو غير مسلمين من الأصل يمتدحون الفكر الشيعي وتوقيع العقود معهم لشراء حقوق نشر كتبهم ومؤلفاتهم.

يلعب قسم الترجمة دورا بارزا في الترويج للثقافة الشيعية، من خلال الاستعانة بمترجمين على مستوى عال من الحرفية لترجمة إصدارات المجمع أو مؤلفات شيعية أخرى إلى أكثر من ٣٠ لغة حول العالم. ولا يتوقف الأمر عند التأليف والبحث أو ترجمة المؤلفات، فهناك قسم خاص بإصدار وتوزيع المنتجات الفكرية على أتباع المذهب الشيعي، حيث

تم إصدار نحو ١٠٠٠ كتاب بـ ٣٢ لغة، وتوزيعها في مخالف بلدان العالم. ويتضمن النشاط الثقافي للمجمع عقد الندوات والمؤتمرات، والحضور في الندوات الثقافية العالمية أمثال معارض الكتاب، ودعم المؤسسات والمراكز الثقافية.

إصدارات

ومن بين عشرات المؤلفات التي أصدرها المجمع أو ترجمها للعربية كتاب «ولاية الإمام علي (ع) في الكتاب والسنّة» من تأليف مرتضى العسكري، و«الوعد الصادق» لمحمد مهدي الآصفي، و«الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين» لمحمد باقر الحكيم، و«من حياة أهل البيت عليهم السلام» لمحمد علي تسخيري، وكتاب «النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين عليه السلام» من تأليف محمود البغدادي.

التعليم والتواصل

لا يدخر المجمع جهدا في تدريس مخاطبيه عبر جامعة أهل البيت، وما يقدم لأتباع أهل البيت من زمالات دراسية في جامعات أخرى ومن خلال دورات التعرّف على التشيع وعبر المراسلة من خلال الأقراص المدمجة، والمواقع الإلكترونية. كذلك يهتم بالرد على الاستفسارات والتواصل مع منتقدي المذهب الشيعي عبر الإنترنت أو الهاتف، الأمر الذي ربما يتم خلف كواليسه الكثير من عمليات التشييع وتجنيد العملاء في بلدان مختلفة[1].

التقرير الفاضح

ويكشف تقرير الأمين العام محمد حسن أختري الذي قدمه في فبراير ٢٠١٤ أمام الدورة الرابعة للمجمع العالمي لأهل البيت في طهران عن نشاطات متنوعة قام بها المجمع خلال الأعوام الأربعة السابقة، تميط اللثام عن نشاطات مشبوهة للترويج للفكر الشيعي، ومن بينها كما وردت في التقرير بالنص:-

- تأسيس ٢٠ جمعية محلية في الدول المناسبة من الناحية السياسية والاجتماعية خاصة تلك التي يتعرض فيها شيعة أهل البيت (ع) لمؤامرات الصهيونية الدولية. وذلك بهدف إحباط هذه المخططات والتعرف الصحيح على مذهب أهل البيت (ع).
- إقامة العديد من المخيمات الثقافية والتعليمية في إيران للتعرف على الثقافة الإيرانية الإسلامية وزيارة مختلف المراكز العلمية والثقافية والدينية والسياحية، حيث تم إقامة ٢٠ مخيما ثقافيا لحوالي ١٠٠٠ شخصية من جمهورية أذربيجان وماليزيا ومدغشقر والباكستان وبريطانيا والبحرين والسعودية وألمانيا وبلجيكا وهولندا وكينيا ودولة الإمارات وتركيا.
- افتتاح مواقع الكترونية وغرف دردشة باللغتين العربية والإنجليزية بهدف التعرف على الثقافة والمذهب الشيعي والرد على الشبهات ضدهم بالإضافة إلى افتتاح مركز التعليم العالي لمذهب أهل البيت (ع) بهدف تربية الكوادر اللازمة التي تعمل للترويج للمذهب الشيعي في مختلف أنحاء العالم.
- القيام بإصدار ونشر ٤٣٤ كتابا لتنمية النشاط الفكري للناشئة والشباب للتعرف على مبادئ المذهب الشيعي وعشاق أهل البيت (ع) وإرسال نصف مليون كتاب إلى ٢٤ دولة، وتتضمن كتبا مثل المصحف الشريف ونهج البلاغة والصحيفة السجادية وتاريخ الإسلام وأفكار الإمام الراحل (ره) بالإضافة إلى كتب الأدعية والزيارات وتعليم الصلاة للأطفال، كما تم إنشاء حوالي ٤٠٠ مكتبة في مختلف أنحاء البلاد وأكثر من ٦٠٠ مكتبة في العراق بالإضافة إلى العديد من المكتبات في أفغانستان وأنحاء أخرى من العالم.
- تقديم الدعم للتجمعات الشيعية والمنظمات المدنية المدافعة عن حقوق الشيعة وإجراء دراسات شاملة عن وضع الشيعة في مختلف أنحاء العالم والاهتمام بمشاكلهم بمن فيهم أولئك الذين في العراق وتونس والمغرب وتنزانيا والنيجر وبوركينا

(١) ويكي شيعة – المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

فاسو وغينيا كوناكري وجزر القمر ومدغشقر والسودان والجزائر وسيراليون وكينيا.

- إقامة العديد من الاجتماعات والندوات ومراسم تكريم العديد من الشخصيات العلمية والدينية الشيعية بهدف تعزيز المعتقدات والشعائر الإسلامية، حيث تم استضافة أكثر من ٢٠٠٠ طالب من باكستان وألمانيا وأذربيجان في دورات تعليمية في إيران للعمل كمبلغين في بلدانهم.

- تشكيل لجنة إعلامية فنية بهدف وضع التمهيدات اللازمة لافتتاح قناة الثقلين الفضائية وهي قناة شيعية سيكون مقرها المركزي في طهران وتبث عبر الأقمار الصناعية لكافة أنحاء العالم، وتبلغ كلفة المشروع ٣٠ مليون دولار يتحمل المجمع العالمي نسبة ٥٠٪ من التكلفة والبقية يتطوع بها الخيرون.

- التمهيد لإقامة اتحادات للصحفيين والحقوقيين والأطباء والمؤلفين والفنانين الذين ينتمون لأهل البيت (ع) [١].

أختري والقرضاوي

لعل من أكثر الشخصيات السنية التي ناصبها أختري العداء هو الدكتور يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، لاسيما بعد أن خرج الأخير وأعلن انسحابه من عملية التقريب بين المذاهب التي خدعت الكثير من العلماء السنة، قبل أن يقفوا على حقيقة الأهداف الشيعية التي عبّرت عن نفسها في العراق بداية ثم في لبنان وسوريا والبحرين واليمن.

لكن هذا ليس بالأمر المهم بقدر المغالطات الفاضحة التي أوردها أختري في رسالة مفتوحة بعث بها للقرضاوي في يوليو ٢٠١٣ وهي تكشف زيف الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت، لاسيما فيما يتعلق بتصوير إيران وكأنها واحة التسامح بين الأغلبية الشيعية والأقلية السنية في وقت يدرك فيه الجميع ما يعانيه السنة من قمع وعنصرية تصل إلى حد الإعدامات الجماعية في إيران، إضافة لنفي استهداف حزب الله اللبناني للسنة، رغم أن ما يحدث في سوريا ليس ببعيد، حيث قال أختري في رسالته للقرضاوي:-

«لقد ادّعيت في تصريحاتك الأخيرة بأنك (ظللت لسنوات تدعو للتقريب بين المذاهب وسافرت إلى إيران، وادعيت بأنه تم الضحك عليك وأن المتعصبين والمتشددين في إيران يريدون أكل أهل السنة)، بينما العالم يجمع بأن أبناء الطائفة السنية يعيشون مع إخوانهم الشيعة في الجمهورية الإسلامية في إيران في أعلى قمة من السلام والوئام والمودة والمحبة وما تشهده إيران من وحدة إسلامية قلّ نظيرها في العالم العربي والإسلامي. وقلت: (بأن مشايخ السعودية كانوا أنضج مني وأبصر لأنهم عرفوا هؤلاء على حقيقتهم)».

«وهنا ينبغي التنويه إلى أن حزب الله لم يقم في أي يوم من الأيام باستهداف السنة بل شاركهم في حربهم ضد الصهاينة الغزاة وحقق انتصاراً تاريخياً مع حركة حماس والجهاد الإسلامي السنية بحيث لم يتمكن حكام الدول العربية المتخاذلة تحقيقها منذ عقود.

كما تأتي دعوتك التحريضية في حين أن الجهود جارية لحل الأزمة السورية سلمياً لكن أمثالك من الذين أصبحوا من الذين يؤججون نار الفتنة وأتون الحرب ويعملون خلافاً لقول الله عز وجل في الآية الكريمة ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يحب المقسطين﴾ [الحجرات: ٩]» [٢].

(١) موقع المجلس الإسلامي العلمائي- تقرير الشيخ أختري إلى الدورة الرابعة للمجمع العالمي لأهل البيت في طهران.

(٢) موقع قناة المنار.. المجمع العالمي لأهل البيت للقرضاوي: مواقفك تزيد من نار الفتنة .. اتق الله.

صلاح الدين ومؤامرات الفاطميين (٣)
مؤامرة الجند السودان

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

لم تدعَ هذه المؤامرة صلاحَ الدين الأيوبي يلتقط أنفاسه، ذلك أنه لم يفصلها عن سابقتها سوى ساعات قليلة، فلم يكد صلاحُ الدين رحمه الله يقضي على مؤامرة مؤتمن الخلافة الذي كاتب الصليبيين للقدوم إلى مصر حتى ثار الجند السودان على صلاح الدين في اليوم التالي انتقاما لمقتل مؤتمن الخلافة، المسؤول (الخادم) الأول في القصر الفاطمي، والذي كان أيضاً قائدا للجند السودان.

من هم الجند السودان؟

تشكل الجيش الفاطمي من عناصر عديدة، ففي بدايات تأسيس الدولة طغى عليه العنصر المغاربي البربري، بحكم أن نشأة الدولة سنة ٢٩٧هـ كانت في بلاد المغرب العربي، لكن سرعان ما أُبعد البربر بعد ثورة أبي ركوة[1]، كما كان الجيش يضم في صفوفه الترك والديلم، لكنهم أيضا تم إبعادهم بعد ظهور دولة السلاجقة السنة، الذين ينحدرون من أصل تركي، وبدلاً من هؤلاء وهؤلاء تكاثر في جيش الفاطميين العنصر الأسود والأرمن والعربان والمصريون.

أما الجند السودان (أي السود) فقد أتى بهم المُعز[2] من السودان الغربي (أي غرب أفريقيا) ضمن جيشه، ومما جعل نفوذهم يزداد وأعدادهم تكثر مساندتهم للحاكم بأمر الله، سادس حكام الفاطميين في القبض على أبي ركوة، ولأن المستنصر بالله، ثامن حكامهم، والذي حكم الدولة قرابة ستين عاماً (ت: ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، كانت أمّه جارية سوداء.

وكان الجند السودان في أواخر عمر الدولة يشكلون قوة عسكرية يُحسب لها ألف حساب وبلغ عددهم في عهد العاضد (آخر حكامهم) ٥٠ ألفاً، وكان لهم طوائف واضحة القوة في الدولة، منها: المنصورية والريحانية والميمونية والحسينية والجيوشية والفرحية، ويقيمون بحارات بظاهر القاهرة تُعرف باسم طوائفهم. وكانوا إذا ثاروا على وزير قتلوه وأذلوه، كقتلهم الوزير طلائع بن رُزَّيك

(*) كاتب أردني.

(١) اسمه الوليد بن هشام، ولُقّب بأبي ركوة لأنه كان يحمل ركوة ماء لوضوئه دوما. وقد قاد أبو ركوة ثورة على العبيديين الفاطميين زمن خليفتهم الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥هـ (١٠٠٥م) مستعينا بقبائل البربر في المغرب العربي الذين كانوا يطمحون بالقضاء على دولة العبيديين في بلادهم، واستطاع في البداية تحقيق انتصارات مهمة على العبيديين، وأن يهز الدولة، لكن الفاطميين تمكنوا في نهاية الأمر –بمساعدة من النوبيين السود- من إخماد ثورته وقتله.

(٢) رابع حكام الدولة العبيدية، وفي عهده احتل العبيديون مصر، توفي سنة ٣٦٥هـ (٩٧٥م).

سنة ٥٥٦هـ (١١٦١م)، وكانوا لا يدينون بالولاء إلا إلى خليفة الفاطميين.

تفاصيل المؤامرة

يعود السبب المباشر لاصطدام الجند السودان بصلاح الدين ومحاربتهم له إلى رغبتهم بالانتقام لمقتل زعيمهم، مؤتمن الخلافة، على يد صلاح الدين بعد انكشاف مؤامرته المتمثلة بمكاتبة الصليبيين من أجل القدوم إلى مصر، فيخرج صلاح الدين لملاقاتهم، وحينها ينقض عليه مؤتمن الخلافة وجنده من الخلف، فيصبح صلاحُ الدين وقواتُه بين فكّي كماشة، وهي المؤامرة التي تحدثنا عنها في العدد الماضي من الراصد[1].

أما السبب غير المباشر فيعود إلى ضياع نفوذهم ومصالحهم بعد تولي صلاح الدين منصب الوزارة، وهو الذي أخذ على عاتقه إضعاف الدولة الفاطمية ومذهبها الفاسد، تمهيدا لإعادة مصر إلى مذهب أهل السنة والدولة العباسية كما كانت قبل قدوم العبيديين الفاطميين إليها.

وهنا ينبغي التنويه على أنه ليس بالضرورة أن يكون كل هؤلاء الجند على دين أسيادهم العبيديين، أو من أتباع مذهبهم الشيعي الإسماعيلي، لكنهم من أصحاب المصالح والأهواء، أو مِن الذين تملّكهم الخوف، تماما كما يحدث في سوريا مثلا في الوقت الحاضر، حيث يصطف بعض أبناء السنة مع النظام البعثي النصيري ضد ثورة أبناء سوريا المتطلعة إلى الحرية والكرامة، والتخلص من نظام القمع والإرهاب، وكما يحدث في غير بقعة من بلاد المسلمين، حيث نرى بعض الجماعات والحركات السنيّة تتقاطر نحو إيران طمعا في أموالها وعطاياها.

وبمجرد أن تنامى إلى مسامعهم مقتل مؤتمن الخلافة حتى أعلن الجند السودان ومعهم عدد من الأمراء والعامّة الحربَ على صلاح الدين، وفي بالهم القضاء على تلك القوة السنية الفتيّة، وفي المقابل كان صلاح الدين يتوقع خطوة كهذه، فهو يعلم أن طريقه دوماً محفوفة بالصعاب. وكان ذلك في شهر ذي القعدة من نفس السنة التي تولى فيها صلاح الدين الوزارة، أي ٥٦٤هـ.

ووصل بهم الحقد مبلغاً جعل العماد الأصفهاني يقول في شأنهم: «ولمّا قُتِلَ هذا الخادم سار السوّدان وثاروا، ومن استِعار السّعير استعاروا، وأقاموا ثاني يوم قتْله وجيَّشوا، وكانوا أكثر من خمسين ألفًا ... وما في قلوبهم رحمة».

وسار السودان إلى دار الوزارة لمقاتلة صلاح الدين، فانبرى لهم شمسُ الدولة توران شاه أخو صلاح الدين، وكان السلطان نور الدين محمود زنكي قد أرسله إلى أخيه في مصر ليشد من أزره ويساعده على إدارة الدولة.

وركب صلاحُ الدين ومعه الجند، ودارت معركة عنيفة بين الطرفين، عانى فيها صلاح الدين وقواته الأمرّين، ويصف المقريزي المشهد بقوله: «واشتدّ الأمر وعظم الخطب حتّى لم يبق إلا هزيمة صلاح الدين وأصحابه. فعند ذلك أمر توران شاه بالحملة على السودان، فقُتل فيها أحد مقدّميهم، فانكفّ بأسهم قليلا...».

أما العاضد، فكان في هذه الوقعة يشرف من المنظرة[2]، وكلّه أمل بانكسار صلاح الدين

---

(١) يمكن قراءتها على الرابط التالي:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6969

(٢) جاء في تعريف المنظرة لغوياً: «مكان من البيت يُعدّ لاستقبال الزائرين»، وفي تعريف المنظر: «اسم مكان من نظَر: مكان المراقبة وهو مكان عالٍ يوقف عليه لتتسع الرؤية»، يشبه البلكونة اليوم لكنه مغطى فيرى من فيه الخارج ولا يرى.

وجيشه، وأخذ مَن في القصر يرمون جندَ صلاح الدين بالسهام والحجارة، ما أدى إلى تراجع جيشه وانكساره، وحينها أمر صلاح الدين النفّاطين[1] بإحراق المنظرة، فأحضر شمسُ الدولة النفّاطين وأخذوا في إعداد قارورة النفط وصوّبوا بها على المنظرة التي فيها العاضد.

فخاف العاضد على نفسه وعلى قصره، ما أدّى إلى انقلاب كامل في موقفه، وما هي إلاّ لحظات حتى فتح بابَ المنظرة أحدُ مسؤولي القصر، وقال بصوت عالٍ: «أمير المؤمنين (أي العاضد) يسلّم على شمس الدولة ويقول: دونكم العبيد الكلاب، أخرجوهم من بلادكم». فلمّا سمع السودان ذلك ضعفت قلوبهم وتخاذلوا، ذلك أنهم كانوا يعتمدون على تأييد العاضد لهم، فحمل عليهم جند صلاح الدين فكسروهم.

القضاء عليها

وبدأ الجند السودان يتقهقرون، وأخذ جيش صلاح الدين يتتبعهم، وأرسل صلاح الدين إلى محلّتهم المعروفة بالمنصورة (أو المنصورية) التي فيها أهلوهم ودورهم فأحرقها، وكانت أعظم حاراتهم، فولّوا عند ذلك مدبرين، فصاروا كلّما دخلوا مكانا أحرق عليهم وقتلوا فيه، وقُتل منهم خلق كثير، ثم طلبوا الأمان فأجابهم إليه صلاح الدين، وأخرجهم إلى الجيزة[2]، ثم خرج إليهم توران شاه، وقاتلهم هناك وقضى على بقيتهم.

يقول المقريزي: «وكان من غرائب الاتّفاقات أن الدولة الفاطمية كان الذي افتتح لها بلاد مصر وبنى القاهرة جوهر القائد (المعروف بجوهر الصقلي)؛ والذي كان سببا في إزالة الدولة وخراب القاهرة جوهر المنعوت بمؤتمن الخلافة هذا».

كان لتلك المعركة المعروفة بواقعة العبيد أو واقعة السودان نتائج حاسمة، أهمها أن صلاح الدين نجح في تصفية جيوب المقاومة والخيانة الداخلية التي وقفت حائلا دون تنفيذ مشاريعه، فتفرغ لمواجهة الزحف الصليبي الذي كان قد بدأ على مصر، وهو مطمئن.

ومنها أن هزيمة الجيش الفاطمي تعني الهزيمة للعقيدة الشيعية الإسماعيلية، التي عمل الفاطميون على نشرها، وبالتالي انهيار أحد الحواجز الذي كان يقف أمام عقيدة أهل السنة.

للاستزادة:

١- الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية.

٢- عماد الدين الأصفهاني، البرق الشامي.

٣- تقي الدين المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

٤- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام.

٥- شاكر مصطفى، صلاح الدين الفارس المجاهد، والملك الزاهد المفترى عليه.

(١) النّفّاط هو الذي يرمي السهام المشتعلة بالنِّفط.

(٢) كانت مدينة مستقلة بجوار القاهرة.

مؤتمر آل البيت النبوي الشريف مناقبهم وعلاقة الصحابة الأبرار بهم وواجب الأمة تجاههم

محمد خليفة صديق(*) – خاص بالراصد

مقدمة:

نظمت جامعة إفريقيا العالمية في الخرطوم بالتعاون مع قناة طيبة الفضائية ومنظمة المشكاة الخيرية بالخرطوم أخيرا مؤتمر (آل البيت النبوي الشريف مناقبهم وعلاقة الصحابة الأبرار بهم وواجب الأمة تجاههم) في الفترة من ١٨-٢٠١٥/٢/١٩ وذلك بقاعة المؤتمرات الكبرى بالجامعة تحت رعاية كريمة من رئيس جمهورية السودان المشير عمر حسن أحمد البشير وبحضور كبير من العلماء والدعاة من السودان ودول عربية وإسلامية أخرى، وكان من الحضور الدكتور مصطفى عثمان إسماعيل وزير الاستثمار وممثل رئيس الجمهورية راعي المؤتمر، وسعادة المشير عبد الرحمن سوار الذهب الرئيس السوداني الأسبق ورئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية.

وتناولت محاور جلسات المؤتمر عدة موضوعات، منها: آل البيت النبوي الشريف مكانتهم وحقوقهم، وعلاقة الصحابة بآل البيت، والموقف من آل البيت بين الإفراط والتفريط، وواجب الأمة تجاه آل البيت النبوي الشريف، وواجب الهيئات العلمية والدعوية تجاه آل البيت.

مفتتح المؤتمر:

وفي بداية المؤتمر ألقى الدكتور كمال محمد عبيد مدير جامعة إفريقيا العالمية كلمة مرحباً فيها بالضيوف في رحاب الجامعة، شاكراً لهم اختيارهم لجامعة إفريقيا العالمية لاستضافة هذا الحدث الكبير، مشيراً إلى أن تنظيم هذا المؤتمر

(*) كاتب سوداني.

يـأتي لعـدة أسـباب أولهـا الاعـتراف بفـضل هـؤلاء الكـرام الـذين أوصلوا لنـا الـدين على أتم وجـه، ومـن أجـل أن نـدافع عـنهم ونرفـع عـنهم الظلـم الـذي لحـق بهـم مـن الغـلاة في الـدين، داعيـاً لـتطهير القلـوب مـن بغـض الـصالحين لأن ذلـك يـورد الإنـسان مـوارد التهلكـة، داعيـاً أبنـاءه مـن طـلاب الجامعـة للحـرص علـى الاسـتفادة مـن هـذا الكـم الكـبير مـن علمـاء الأمة الذين يشرفون على جلسات المؤتمر.

وحـث عبيـد علـى ضـرورة الـدفاع عـن آل البيـت والـصحابة الكـرام باعتبـارهم الـذين أوصـلوا لنـا الـدين والمعتقـد الـصحيح الـذي سـيكون لنـا قربـة يـوم القيامـة، مـشيراً إلى أنهـم قـد فعلـوا مـا فعلـوا مرضـاة للّه عـز وجـل ونحـن نـدافع عـنهم مرضـاة للّه سـبحانه وتعالى.

وقـال عبيـد: «علينـا أن ننـافح ونـدافع عـنهم وعـن مقـامهم، وأن نـبرأ ممـا يحـاول الـبعض أن يلحقهـم بـسيرتهم الـشريفة الطـاهرة. فكيـف بنـا أن لا نـدفع الظلـم عـن مظلـومين وهـم لا يـستطيعون الـدفاع عـن أنفـسهم وهـم لم يرتكبـوا شـيئاً يـستحقون بـه مـا يقـال عنهم عند بعض الفرق الضالة اليوم.

واختـتم الـدكتور كمـال عبيـد كلمتـه بالتـشديد علـى أن تكـون نوايانـا قـد انـصرفت تجـاه تبرئـة الـصحابة وآل بيـت رسـول اللّه ﷺ ، وأن ننـافح عـنهم بكل ما لدينا من إمكانيات.

ثـم تحـدث الـشيخ الـدكتور أحمـد الـصويان رئـيس تحريـر مجلـة البيـان موجهـاً شـكره إلى فخامـة الـرئيس الـسوداني عمـر البـشير لرعايتـه الكريمـة للمـؤتمر. وقـال: نحـن اليـوم نجتمـع مـن أجـل قـضية لا تعـد هامـشية بـل هـي مركزيـة ينبغـي أن يتـداعى عليهـا المخلـصون للرسـول ﷺ خاصـة في هـذا العـصر الذي التبست فيه الكثير من المسائل.

ووجـه الـصويان صـوت الـشكر للحكومـة الـسودانية بعـد قرارهـا التـاريخي بـإغلاق المراكـز الثقافيـة الإيرانيـة أخـيرا، واصـفاً القـرار بالـشجاع كـون هـذه المراكـز قـد تطاولـت علـى أصـحاب الـنبي ﷺ.

وكـشف فـضيلة الـشيخ الـدكتور أحمـد الـصويان بـأن مـشروع الـشيعة محفـوف بإشـكالات عديـدة مـن أبرزها:

١- ديـن الـشيعة تأسـس علـى الخـصومة لـدين الإسـلام لهـذا امـتلأت قلـوبهم غـلاً وحقـدا علـى أصحاب الرسـول ﷺ وخاصـة سـيدنا أبـي بكـر وعمـر رضـي اللّه عنهمـا وأمهـات المـؤمنين الأطهـار رضـي اللّه عنهن.

٢- أن الثـورة الإيرانيـة حينمـا بـدأت تـأثرت وقامـت علـى مبـدأ تـصدير الثـورات ومحاولـة إحيـاء بـؤر وأقليـات التـشيع في العـالم الإسـلامي لتـصبح هـذه البـؤر جـزءا مـن المنظومـة الإيرانيـة في وجـه الأمـة الإسـلامية وتـصبح بالتـالي منـاطق تـوتر، وهـذه البـؤر انقطعـت عـن النـسيج الاجتمـاعي الـديني والمحلـي وارتبطـت بـالمراجع الدينيـة في إيـران مـن خـلال المـذهب ودفـع الخمـس وانقطعـت صـلتها بالأمـة الإسـلامية، بجانـب عمـل إيـران المحمـوم لتـصدير التـشيع لمنـاطق أخرى لا تعرف الشيعة ولا التشيع.

٣- تأسـس ديـن الـشيعة علـى المحـادة الـسياسية لأهـل الإسـلام حيـث ظهـرت وقـائع تاريخيـة تـدل علـى سـعي الـشيعة لإنهـاء الخلافـة الإسـلامية العباسـية وإشـغال الخلافـة العثمانيـة بكـم مـن الخلافـات والصراعات في السابق كما يعلم الجميع.

وخـتم الـصويان كلمتـه بتوضـيح أن العـالم الإسـلامي يـشهد العديـد مـن الـصراعات في سـوريا ولبنـان وغيرهـا في العديـد مـن الأمـاكن، وكـل هـذه الـصراعات جـاءت بفعـل الـشيعة، ومـا كـان للغـرب أن يحتـل العـراق لـولا دعـم إيـران كمـا اعـترف قـادتهم، وقـد تحـالفوا مـن قبـل مـع التتـار ضـد المـسلمين، وهـم اليوم يقتلون أهل السنة في العراق وإيران وسوريا.

واعتـبر الـصويان أن أهميـة هـذا المـؤتمر تنطلـق مـن خـلال البعـد العقـدي الإيمـاني تقربـاً للّه عـز وجـل بحبنـا للرسـول ﷺ وآل بيتـه الطيـبين الطـاهرين وزوجاته أمهات المؤمنين وأصحابه الكرام.

ثـم تحـدث الـدكتور مـصطفى عثمـان إسماعيـل ممثـل رئـيس الجمهوريـة ورئـيس مجلـس أمنـاء جامعـة

إفريقيا العالمية ونقل تحيات الرئيس عمر البشير للمؤتمرين، وتمنياته لهم بمقام طيب في السودان ومؤتمراً ناجحاً، ونقل لهم قول الرئيس البشير إن الأمة ما كانت في يوم من الأيام أحوج إلى حركة علمائها مثل هذه الأيام.

ومضي الدكتور مصطفى للتأكيد على أن أهل السودان يستشعرون المخاطر التي تحيط بالأمة الإسلامية وقال: «مخطىء من يظن أن ممارسات بعض الجهلاء والمتطرفين يستطيعون بها أن يطفئوا نور الله سبحانه وتعالى، وقال: هؤلاء الجهلاء يظنون أنهم برسم كاريكاتيري في صحيفة سيوقفون مسيرة هذا الدين.

ومضى إسماعيل للقول: «يجب أن يعلم هؤلاء أننا لا نجتمع اليوم للدفاع عن النبي ﷺ وصحابته، فالمولى عز وجل قد تكفل بذلك، فمهمتنا أن ندعوا إلى الله على بصيرة»، مؤكداً بأن صراع الحق والباطل مستمر إلى قيام الساعة.

وأبان الدكتور مصطفى عثمان إسماعيل بأن الحق بحاجة إلى رجال ودعاة إلى الله وأن مسؤوليتنا كمسلمين هي أن نبين هذا الحق لأجيال المسلمين القادمة ولغير المسلمين، وشدد على أنه كلما استمرت مؤامرات أهل الباطل تأكدنا أننا نسير على الطريق الصحيح وكلما اشتدت المؤامرات زاد انتشار الدين وتوسعه.

وقال إسماعيل: لا بد أن تكون لنا رؤية وخطة وبرنامج للنهوض بالعمل الدعوي ولخطط ومؤامرات الآخرين وأهل الباطل ضد ديننا، فالحق يقوى ويعلو لا يعلى عليه.

وقال الدكتور مصطفى: «نحن نلاحظ أن أكثر النزاعات في العالم اليوم موجودة في ديار المسلمين، رغم أن الإسلام حرص لأن يحصن المجتمعات المسلمة من النزاعات، والآيات التي تحذر من النزاع في القرآن الكريم كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ الآية.

وقال: إننا نعول كثيرا على هذا المؤتمر للخروج بتوصيات ومقررات تخدم هذه القضية المحورية للذب عن جناب آل البيت النبوي والأصحاب الكرام ونستبين منه الطريق وتسير الأمة على هدى من الله.

مداولات المؤتمر:

بدأت جلسات المؤتمر بكلمة للشيخ محمد موسى العامري من اليمن قال فيها: إن في تاريخ الاسلام من لجأ للغلو والجفاء في أمر أهل البيت النبوي، والمنهج الصحيح هو منهج أهل السنة وهو المنهج الوسطي بين طوائف الغلو في آل البيت ومفهوم الخلافة وغيره، مشيرا إلى أن المسلمين يدفعون ضريبة من دمائهم في اليمن بسبب نظرية قامت بها بعض طوائف الزيدية وهو ما تقوم به اليوم الطائفة الحوثية.

في ورقة مفهوم آل البيت تحدث د. حسن محمد شبانة، عضو هيئة علماء اليمن موضحا حقيقة هذا المفهوم وما حدث فيه من تجاوزات مشيرا لادعاءات الشيعة والرافضة في هذا الباب، وتناول المعنى اللغوي للآل الذي يستعمل بمعنى القرابة وبمعنى الاتباع.

ولفت شبانه إلى أنه في الاصطلاح اختلف العلماء في آل النبي ﷺ على أربعة أقوال، منها القول بأنهم الذين حُرمت عليهم الصدقة، وفيه ثلاثة أقوال للعلماء: أحدها: أنهم بنو هاشم، وبنو المطلب، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية عنه، والثاني أنهم بنو هاشم خاصة، وهذا مذهب أبي حنيفة، والرواية عن أحمد واختيار ابن القاسم صاحب مالك.

أما القول الثالث فهو أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب، فيدخل فيهم بنو المطلب، وبنو أمية، وبنو نوفل، ومن فوقهم إلى بني غالب، وهذا اختيار أشهب من أصحاب مالك، مشيرا للقول بأن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة، والذى حكاه ابن عبد البر في (التمهيد)، حيث قال في باب عبد الله بن أبي بكر، في شرح حديث أبي حميد الساعدي:

استدل قوم بهذا الحديث على أن آل محمد هم أزواجه وذريته خاصة، لقوله في حديث مالك عن نعيم المجمر، وفي غير ما حديث: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»، وفي هذا الحديث يعني حديث أبي حميد: «اللهم صل على محمد وعلى وأزواجه وذريته»، قالوا: فهذا تفسير ذلك الحديث، ويبين أن آل محمد هم أزواجه وذريته، قالوا: فجائز أن يقول الرجل لكل من كان من أزواج محمد ﷺ ومن ذريته صلى الله عليك، إذا واجهه، وصلى الله عليه إذا غاب عنه، ولا يجوز ذلك في غيرهم، وقالوا: والآل والأهل سواء، وآل الرجل وأهله سواء، وهم الأزواج والذرية بدليل هذا الحديث.

أما القول الرابع فهو أن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته، حكاه القاضي حسين والراغب الاصفهاني وجماعة.

وقال شبانة: أما آل البيت عند الشيعة فهو مفهوم مختلف ومحصور في ذرية علي وفاطمة رضي الله عنهما، وقد حكموا بعد ذلك بردة مجتمع الصحابة الأطهار جميعا بمن فيهم عم الرسول عليه السلام العباس وابنه عبد الله بن عباس وغيرهما، وهم لم يأخذوا بمفهوم آل البيت بالمفهوم العام المتواتر لدى الأمة.

الشيخ د. محمد عبد الكريم رئيس قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الخرطوم أشار للمفهوم البدعي التحيزي في آل البيت الذي اتخذه الشيعة الاثني عشرية، مشيرا لآية سورة الأحزاب: «يا نساء النبي لستن كأحد من النساء» التي تجعل نساء النبي من آل البيت.

أما د. محمد الأمين إسماعيل عميد كلية الدراسات الإسلامية بجامعة إفريقيا العالمية فقال في ورقته إن أزواج النبي ﷺ وذريته هم من أخص آل بيت النبي ﷺ ومشيرا إلى أن من مناقب أمهات المؤمنين أنهن خيرن بين الحياة الدينا وما عند الله فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

وأشار إسماعيل إلى الصلاة على الرسول الكريم الواردة بصيغة «اللّهم صلى على محمد وآل بيته وأزواجه»، وحديث «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

الدكتور ياسر با زيد قال: إنه ينبغي أن نحرص على توسيع دائرة آل البيت النبوي وذلك لأن الشيعة يضيقون دائرة آل البيت لتحقيق مشروعهم، مشيرا إلى أن ذلك يؤكد أن توسيع دائرة آل البيت مثل آل العباس وآل عقيل يوسع دائرة المودة لأولى القربى. وشدد على استشعار شرف ومقام علي رضي الله عنه لمخالفة أهل الباطل.

فضيلة الشيخ محمد الحسن الددو ألقى كلمة بعنوان: عناية العلماء ببيان مكانة الصحابة وآل البيت تحدث فيها عن مناقب آل البيت ووجوب احترام الصحابة والاقتداء بهم، مشيرا لعناية علماء الأمة بأحكام الآل والأصحاب بداية بالتعريف حيث تطلق عبارة الآل فتشمل الصحابة في مقام الصلاة، فيكفي ذكر عبارة الآل عن ذكر الأصحاب مرورا بأحكام يختصون بها عن باقي الصحابة كحرمة الصدقة عليهم واستحقاقهم لخمس الخمس من الغنائم وهدي السلف في توقيرهم وغيرها من الأحكام والآداب معهم رضي الله عنهم أجمعين.

ولفت الددو إلى أن الله سبحانه وتعالى «يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخِيرَةُ» وقد اختار الله من خلقه محمدا ﷺ وشرّفه على الناس كافة وجعله أحب خلقه إليه، وجعل أمته من خير الأمم، وجعل العصر الذي بُعث فيه خير عصور الدنيا، ولذلك فإن أصحابه الذين آمنوا به وأيدوه ونصروه وجاهدوا بين يديه هم خير قرون أهل الأرض.

وأشار الددو إلى ثناء الله تعالى عليهم في كتابه ثناء عظيما، وأنزل عليهم رضوانه، وزكّى إيمانهم وهُداهم، وأخبر انهم بذلوا الوسع والجهد في نصرة الدين فقال تعالى: ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه

جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون﴾، وقال ﷺ: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...».

وعدد الددو في كلمته صورا من حياة الصحابة، وجهاد السابقين الأولين وصبرهم وبلائهم الحسنِ في الدين مثل أهل بدر، والعشرة المبشرين بالجنة، وأهل بيعة الرضوان والخلفاء الراشدين وأمهات المؤمنين، وتحدث عن فضل عائشة رضي الله عنها.

وقال الددو: «كان لأصحاب رسول الله ﷺ حق عظيم على جميع المؤمنين أن يترضوا عليهم وأن يحبوهم وأن يوالوهم جميعا وأن يظنوا بهم أحسن الظنون وأن يلتمسوا لهم أحسن المخارج، وأن يعلموا أن الله هو الذي اختارهم لمحمد ﷺ، فقدّمهم في صدر هذه الأمة ليكون لهم ثواب كل من وراءهم؛ فكل عابد لله بعدهم بأي نوع من أنواع العبادات ذكرا أو صلاة أو علما أو جهادا، فعمله مكتوب لأصحاب النبي ﷺ؛ لأنهم الذين جاهدوا حتى بلغوا هذا الدين مشارق الأرض ومغاربها.

وذكر الددو قول غالي البصادي:

وقامت بنصر الله أنصار دينه
وبيعت من الله النفوس النفائس

مشيرا إلى أن كل ما نالوه من الفضل والسبق والخيرية فإنما نالوه بصحبة النبي ﷺ، والتلقي عنه والاقتداء به وتمثُّل هديه وسنته ودعوته.

وقال الددو: إن كل طعن فيهم إنما هو طعن في رسول الله ﷺ، وكل بغض لهم إنما هو بغض لرسول الله ﷺ، وقال الددو: إن واجبنا تجاه الصحابة رضوان الله عليهم هو التوقير والدعاء لهم وحبهم حبا شديدا بحب الله لهم وحب رسوله الكريم لهم، وأن نظن بهم أحسن الظنون وأن نلتمس لهم أحسن المخارج.

وقال: «لا نعتقد العصمة في أحدٍ بعد رسول الله ﷺ، ولكننا نعلم أن سابقة الصحابة في الإسلام وجهادهم مع رسول الله ﷺ وحملهم لأعباء هذا الدين من مكفرات الذنوب .. فهم رضوان الله عليهم أولى الناس بشفاعة النبي ﷺ. وأضاف الددو:» لا نعتقد في أئمة آل البيت بالعصمة كما يعتقد الروافض، ولكننا نجلّهم ونوقرهم ونرعى فيهم وصية رسول الله ﷺ .. وكل من أراد أن يعقد نزاعا بين الصحابة وبين آل البيت فهو كاذب مفترٍ... فآل البيت من الصحابة كانوا خيار الصحابة وأهل مودتهم وتوقيرهم .. وكذلك توارث السلف وأهل السنة وأعلام الأمة توقير آل البيت دون غلو ولا تنطع.

وقال إن الصحابة لهم ميزاتٍ عظيمة استحقوا بها علينا الحب والذكر الجميل فمن ذلك: فضل الصحبة والجهاد وفضل حضور الوحي ونزول جبريل، ورؤية النبي ﷺ ورؤية الملائكة على هيئات مختلفة، وفضل السبق وهو منقبة عظيمة وقد قال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحُد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه».

وقال الددو: ولا نخوض فيما شجر بينهم ونعلم أن ما وقع منهم كان عن اجتهادٍ .. فمنهم مصيب ومنهم مخطئ فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر في اجتهاده وليس عليه إثم في اجتهاده، مشيرا لأهمية الحب والتوقير والمدارسة لسير الصحابة الكرام تقتضي الاقتداء بهم واتباع هديهم وما كانوا عليه، فإن الصحابة أسوة في الإيمان جميعا قولا وفعلا واعتقادا لأن الله قال: «فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا».

وقال إن الطعن في الصحابة أو في بعضهم هو طعن في الدين، ولا يحل السماع ممن يطعن في الصحابة ولا مناظرته ولا مجالسته وهو عرضة للردة، لأن الله تعالى أخبر أنه يَغيظ الكفار

بأصحاب النبي ﷺ فمن أغاظه الصحابة فهو للكفر أقرب منه للإيمان «ليغيظ بهم الكفار».

وقال الددو: «ومن لم يبرئ عائشة رضي الله عنها مما برأها الله منه فهو كافر إجماعا كفرا أكبر مخرجا من الملة لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ولو تشهَّد عند الموت ولو تشهد في كل الأوقات لا ينفعه ذلك لأنه يكذب الله ورسوله».

ختام المؤتمر:

شهد اليوم الختامي للمؤتمر حضوراً مكثفاً من قبل علماء الأمة الإسلامية من عدة بلدان عربية وإسلامية وسط حضور كبير من طلاب الجامعة وعامة الجمهور.

وشهد اليوم الختامي ثلاث جلسات تم تقديم العديد من الأوراق العلمية من خلالها، ففي الجلسة الأولى قدم الدكتور آدم إبراهيم الشين ورقة علمية بعنوان (الإفراط في دعوى محبة آل البيت) عقب عليها الشيخ رائد حليحل من لبنان، فيما جاءت الورقة الثانية بعنوان (مفهوم آل البيت وموقف الإمامية من أمهات المؤمنين) قدمها الدكتور خالد الدميجي وعقب عليها الشيخ أحمد المعلم، أما الورقة الثالثة فقدمها الشيخ الدكتور مدثر أحمد إسماعيل بعنوان (جهود علماء السنة في الرد على الجفاء والغلاء) عقب عليها الدكتور إبراهيم مهنا.

أما الجلسة الثانية فقد شهدت تقديم ثلاث أوراق أولها بعنوان (واجب العلماء والهيئات العلمية) حيث قدمها الدكتور سعيد برهان وعقب عليها الأستاذ الدكتور علاء الدين الزاكي، بدوره قدم الدكتور إسماعيل عثمان ورقة علمية بعنوان (واجب الدعاة والمؤسسات العلمية) وعقب عليها الشيخ الدكتور قسم الله عبد الغفار، وتناولت الورقة الثالثة موضوع (واجب الإعلاميين والشبكات الإعلامية) تولى تقديمها الدكتور حقار محمد أحمد وتولى الشيخ على أبو تراب التعقيب عليها.

وفي الجلسة الثالثة والأخيرة في اليوم الختامي للمؤتمر قدمت ثلاث أوراق علمية، جاءت الورقة الأولى بعنوان (حال الأمة مع آل البيت بين الماضي والحاضر) قدمها الدكتور محمد موسى الشريف وعقب عليها الدكتور مهران ماهر عثمان، كما قدم الدكتور محمد يسري ورقه علمية تحت عنوان (واجب الحكام والحكومات الإسلامية) وعقب عليها الشيخ مراد القدسي، وأخيراً قدم الدكتور محمد المنصور إبراهيم الورقة العلمية الثالثة (واجب المجتمع والمؤسسات المدنية) وتولى الدكتور بسام كايد التعقيب عليها.

وقد ناقشت أوراق وأبحاث المؤتمر ما لحق بآل البيت النبوي الشريف من إساءات وكيفية الدفاع عنهم، وتناولت محاور جلسات المؤتمر آل البيت النبوي الشريف مكانتهم وحقوقهم، وعلاقة الصحابة بآل البيت والموقف من آل البيت بين الافراط والتفريط، وواجب الأمة تجاه آل البيت النبوي الشريف، وواجب الهيئات العلمية والدعوية تجاه آل البيت.

وقد قدمت أوراق في تعريف آل البيت، وحقوقهم، وموقف أهل السنة منهم، وموقف الغلاة في آل البيت، إفراطا وتفريطا.

وقد أوصي المؤتمرون في ختام مؤتمرهم بضرورة إنشاء مراكز بحثية وقنوات فضائية مناوئة لقنوات الرافضة ومَن يسبون أصحاب رسول الله وآل بيته، وضرورة توحد المسلمين ضد هذه الهجمة على آل بيت رسول الله ﷺ.

وخلص المؤتمر كذلك لضرورة نشر فضائل ومناقب آل البيت وأداء حقوقهم، وأن تقوم الحكومات، والهيئات، والشخصيات، والمؤسسات الإعلامية كل بما يليه تجاه حقوق آل البيت النبوي والصحابة الكرام، والوقوف في وجه المد الشيعي في أفريقيا والعالم.

مكاسب إيران من تغذية التطرف في البلاد العربية

سعيد السويدي(*) – خاص بالراصد

لا يمكن لعاقل يعاين تنامي موجة الغلو والتطرف أن يقف حائراً عاجزاً عن تتبع أسباب تمددهما، وتعقب مصادر تغذيتهما، فكل من يملك تصوراً عاماً صحيحاً عن أزمات المنطقة منذ احتلال العراق عام ٢٠٠٣ بإمكانه وضع ملامح أساسية لأسباب تنامي هذه الظاهرة، وعوامل استفحالها وتناميها بهذا الشكل.

لكن ما يهم السني هو البحث عن مكاسب إيران من وجود الغلو (بمستوياته المختلفة وأشكاله المتنوعة) في أوساط المسلمين؛ وذلك لأن تحديد مكاسب العدو من حدث ما يمكن أن يساعد في اتخاذ تدابير ملائمة للتعامل معه، وهو أمر بات ملحّاً لاسيما مع وجود أطراف سنية باتت تؤمن أن المتطرفين في العراق وسوريا هم أمل الأمة السنية في مواجهة إيران وإيقاف عدوانها.

لذلك سنجمل في عدة نقاط ماذا يحقق التطرف الديني في أوساط المسلمين بالنسبة لإيران، وما هي المكاسب الناتجة عن وجوده بينهم:

أولاً: إفشال المشروع السني المقاوم لإيران

وقد تمثل المشروع السني منذ عام ٢٠٠٣ وحتى يومنا هذا في جبهتين:

١- حركة المقاومة العراقية للمحتل الأمريكي التي كانت في نفس الوقت قوة مقاومة للمحتل الإيراني.

٢- الثورة السورية السلمية، والفصائل المسلحة التي تشكلت لاحقاً لحمايتها.

(*) كاتب عراقي.

ولا يخفى على المتابعين والمحللين دور الفصائل المتشددة (القاعدة، النصرة، داعش) في الإجهاز على هذه المشاريع وملاحقة أهلها بالتكفير والتفجير، وتحويل البندقية من جبهة المواجهة مع إيران ووكلائها، إلى استنزاف الداخل السني الضعيف أصلاً.

فإيران لا تعتمد على الميليشيات الموالية لها فحسب، وإنما تلعب وتتلاعب أيضاً بأوراق سنية رابحة (فصائل القاعدة) ويمكنها المراهنة عليها في زعزعة الجبهة السنية.

ثانياً: تصدير الثورة الإيرانية بأدوات سنية

بذلت إيران جهوداً كبيرة في استهداف الدول العربية منذ الثمانينات فأسست ميلشيات شيعية في العراق ولبنان والخليج، وأقامت علاقات مع الحركات السنية السياسية والإسلامية، وضربت التيارات الدينية بأجهزة الأمن والمخابرات.

واليوم تؤدي التيارات المتطرفة هذه المهمة (تصدير الثورة) وربما دون تجنيد إيراني مباشر لتحقيق هذا الهدف، فالتطرف اليوم يهدد الدول السنية الباقية (الأردن، السعودية، مصر، ليبيا، اليمن، دول المغرب الغربي)، وفي نفس الوقت يساهم في توتير العلاقات بين السلطة والإسلاميين وهو ما ينعكس سلبا على قدرة هذه الدول على مواجهة إيران.

ثالثاً: إفشال المشروع الإسلامي

تطال الأضرار المتعدية لأعمال المتطرفين المشاريع الإسلامية في البلدان الآمنة، إذ أن التعامل العلماني السائد مع ظاهرة التطرف هو اعتبارها من نتاج دعوات التدين، وطموحات الإسلاميين في التغيير.

وقليلا ما يتم عزل «ظاهرة التطرف» عن الفضاء الإسلامي العام والقوى الفاعلة فيه، فتتحول أعمال المتطرفين لمادة دسمة لماكنة الإعلام الحكومي والعلماني لمهاجمة طروحات التيار الإسلامي وتخويف الجماهير من عواقب وصولهم إلى مواقع

التأثير.

وإيران تحرص على فشل مشاريع الإسلاميين في بلدانهم لأنها تعرف أن أي تجربة سنية ناجحة غير مرتبطة بها ستكون عقبة أمامها نفوذها كتركيا مثلاً، ولذلك فرحت إيران بسقوط مرسي في مصر، وتعاونت مع نظام السيسي مباشرة.

والعجيب أن الأنظمة العربية التي تعادي الإسلاميين السنة بحجة أنها تسيس الدين وتتحالف مع إيران وتتبنى الإرهاب، لا تجد غضاضة في التعاون والتشارك مع القوى الشيعية السياسية برغم تورطها بالكامل في الإرهاب وتسييس الدين والتبعية لإيران!!

رابعاً: نشر الفوضى وتعطيل الإصلاح السلفي

يقف المنهج السلفي بفكره ورموزه في مقدمة التحديات والعقبات أمام أطماع إيران، ونشاط المتطرفين يستهدف تحطيم وتشويه المنهج السلفي بشكل مباشر وغير مباشر، ويتمثل هذا الاستهداف بأوجه متعددة منها:

- هجوم المتطرفين على المنهج السلفي والتيار الإسلامي بقذائف التخوين والتكفير.
- سعى المتطرفين لاختطاف مسمى السلفية والتفرد بتمثيلها، فتتحول السلفية لدى الرأي العام إلى عنوان للفكر المتشدد، وتصبح محاربتها مما يعزز الأمن القومي والسلم العالمي! وحينما يتعطل النشاط الدعوي للسلفيين فإن إيران تكون قد ضمنت خلو الساحة السنية من أكبر قوة مقاومة لفكرها وممانعة لمشروعها، كما أن سياسات الغرب في إبراز التصوف والتيارات المخالفة للسلفية يقوي حظوظ إيران في الاختراق والهيمنة الناعمة.
- لا يمكن للمشروع السلفي أن يعمل في بيئة مضطربة أمنياً ومتوترة سياسياً، فالأمن والاستقرار ركيزتان أساسيتان لعمل السلفيين، وذلك لأنهم مستهدفون من جهات متعددة (المتطرفين، الشيعة، الأحباش، الصوفية)، وغالباً هم لا يملكون أي وسيلة حزبية أو سياسية أو مسلحة للدفاع عن أنفسهم، لذا فالاستقرار الأمني هو ضمانة أساسية لأي عمل سلفي ينشد النجاح والبقاء في ساحة مليئة بالخصوم والمناوئين.

خامساً: انتزاع تمثيل الإسلام من أهل السنة

لا يقف طموح إيران الديني والسياسي عند حدود الشرق الأوسط، وإنما يتطلع إلى السيطرة على العالم الإسلامي بأكمله، وهذا السعي للقيادة والزعامة وتمثيل الأمة لم يتولد نتيجة النزعة التوسعية لدى حكام إيران فحسب، وإنما هو طبيعة التشيع الذي يرى في «السنة» نسخة مشوهة للإسلام وانحرافا عن مساره الشرعي.

وحينما يقفز المتطرفون إلى الواجهة فأول ما يبدؤون به هو إفشال المشاريع الإسلامية المخالفة لهم حتى يضمنوا التفرد بالساحة، مع أنهم في الحقيقة يؤسسون لزوال كيانهم؛ لأن العمل المبني على التكفير والتفجير والتخوين والمزايدات لا يمكن أن يكون قاعدة صلبة لمشروع طويل الأمد، فمشاريع التطرف تولد ميتة.

فالمتطرفون عملياً يقومون بإخلاء الساحة أمام إيران لتمثيل العالم الإسلامي سياسيا ودينياً أمام الغرب حتى يتعامل مع جهة واحدة (وهو يفضلها من الأساس).

والغرب في تعامله مع إيران لا تحركه الروح الصليبية فقط، وإنما هي المصلحة التي تحتم التعامل مع طرف يعرف ما يريد (إيران) ويقبل بالحفاظ على أطماع الغرب، على التعامل مع جهة هوجاء لا تحسن سوى لغة التهديد والوعيد الفارغ (فصائل القاعدة).

يقول الرئيس الامريكي أوباما في إحدى مقابلاته الصحفية: (إذا نظرت إلى سلوك الإيرانيين، فإنهم استراتيجيون، إنهم ليسوا متسرعين، إن لديهم وجهة نظر عالمية، وهم يرون مصالحهم، ويستجيبون للتكاليف والمنافع... إنهم

بلد كبير وقوي، والذي يرى نفسه لاعباً مهماً على الساحة العالمية، ولا أعتقد بأنهم ينطوون على رغبة انتحارية، ويمكنهم أن يستجيبوا للحوافز)، وذلك جواباً على سؤال (ما هو الأكثر خطورة: التطرف السني أم التطرف الشيعي؟)[1].

دعوة للتعاون لمواجهة الغزو الإيراني للعراق

علي عبد الهادي[*] – خاص بالراصد

إيران اليوم تعلن علانية جهارا نهارا بدون تقية ولا مواربة أنها تتوسع في الدول العربية، وأن ثمة عواصم أصبحت إيرانية: **بغداد، دمشق، صنعاء، بيروت**، وهي تصرح على لسان المسؤولين رسميا بذلك، حيث صرح علي يونس نائب الرئيس الإيراني ومستشاره قائلا : «إن إيران أصبحت الآن إمبراطورية، كما كانت عبر التاريخ وعاصمتها بغداد حاليا، وهي (بغداد) مركز حضارتنا وثقافتنا كما كانت في الماضي» وهذا واحد من تصريحات متعددة هنا وهناك وبمناسبات مختلفة.

لكن طبيعة التصريحات اليوم أصبحت ذات ميول قومية أكثر من كونها دينية طائفية، وهذا الأمر أحد دوافع كتابة هذا المقال، فإن إيران بذلك تعلن حلمها الأصيل وهو الحلم الإمبراطوري لأمة فارس.

اختلاف في النظر إلى إيران:

ثمة تباين يصل إلى حد الصراع بين وجهات النظر المختلفة حيال غاية إيران، هل التمدد شيعي طائفي أم هو تمدد قومي يستغل التشيع؟ وهذا موجود في الأوساط العربية عموما، وبشكل كبير في الأوساط العراقية على سبيل الخصوص.

(١) مقابلة أوباما مع «بلومبرغ فيو» (٢٠١٤/٣/٢).

(*) كاتب عراقي.

التوسع الإيراني اليوم أصبح يهدد جميع التوجهات: القومية، والوطنية، والدينية؛ لأن إيران أصبحت تتوسع في بلادنا وعلى حسابنا جميعاً حكومات وشعوب وقوميين ووطنيين وإسلاميين، ولا يسلم منها إلا من أعلن ولاءه لها، وقد رأينا كيف هاجمت إيران وهاجم أتباعها الشيعة حركةَ حماس وحزبَ الإصلاح اليمني وشخصيات إسلامية كطارق الهاشمي وحارث الضاري رحمه الله، وكيف قتلت الرئيس رفيق الحريري وعددا من الضباط والرموز اللبنانية الوطنية، وكيف تطارد قادة الأحزاب اليوم والشخصيات القومية في اليمن وسوريا والبحرين والعراق، وهي بهذا تشكل خطرا على الجميع.

ومع هذا التهديد الإيراني الذي يشمل الجميع لم يعد لهذا النزاع معنى بين الفريقين على حقيقة الدافع الإيراني إن كان طائفيا أو قوميا، وإيران على كلا الحالين تغزونا وتحتلنا، والذي نحتاجه في هذه المرحلة هو جمع الكلمة والتعاون بين التوجهات القومية والدينية (السنية) والوطنية لمواجهة هذا التمدد والاستعمار الإيراني.

لقد شعرَ كثير من الجهات وأصحاب التوجهات والأحزاب في العراق وخارجه أن العراق بدأ يضيع بين يدي الزحف الإيراني وخاصة بعد تواجد القوات الإيرانية بشكل معلن مع قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني في محافظة صلاح الدين العراقية ومركزها مدينة تكريت، وإمكانية توسع تواجد القوات الإيرانية بحجة مقاومة تنظيم داعش نحو محافظتي نينوى والأنبار بعد أن استولت على محافظة ديالى، ويزداد إحساس العراقيين بخطر احتلال إيران لبلدهم يوما بعد يوم مما قد يغير مستقبل العراق لحقبة من الزمن غير معروفة.

وهذا ما يحتم على الجميع تناسي الخلافات التي أرهقت السنة وذوي الاتجاهات الوطنية والكف عن التلاوم والتخوين؛ لأن الخطر يتهدد الجميع وأصبح أكبر من هذه التنازعات، ومثلما

وحّد الاحتلال الأمريكي في سنة ٢٠٠٣ أكثر التوجهات الوطنية السنية والدينية ينبغي اليوم (٢٠١٥) العودة للمربع الأول لمواجهة التوسع الإيراني الاستعماري المعلن.

الأمريكيون يرعون هذا الاحتلال:

يكاد المطلعون في الشأن العراقي يتفقون على أن أمريكا تغض الطرف عن التحركات العسكرية المعلنة للإيرانيين بقيادة شخصيات مطلوبة للولايات المتحدة (قاسم سليماني) بذرائع شتى، ولكن الجميع يتفق على أن ثمة إرخاء للحبل واضحا في سياسة أمريكا لإيران للتوسع في الشرق الأوسط وفي المناطق السنية، وهي تكملة لما نفذه بوش الابن من احتلال العراق وتسليمه للشيعة (العراقيين) ومن ثم لإيران وإثارة الحرب الطائفية بشكل معلن، والتفرج عليها، وسواء كان ما تقوم به أمريكا اليوم هو محاولة لاستنزاف إيران بيد داعش أو مساندة إيران فالنتيجة التي يدفع كلفتها أهل السنة في العراق وسوريا هي سقوط مناطقهم بيد الحشد الشيعي الذي تقوده إيران.

لم يدرك بعض سنة العراق حقيقة مراد أمريكا في غزوها للعراق وأنها كانت تبيّت ومنذ البداية نيتها تحطيم العراق وتمزيقه وإشعال الطائفية فيه بشكل واضح[1]؛ لذا حلّت الجيش العراقي، وسنت قانون اجتثاث البعث وقللت حصة السنة في الحكم، بل كونت جيشا من بقايا الميلشيات الشيعية المرتبطة بإيران.

لذلك فإن محاربة إيران ومقارعتها هو مقارعة لأمريكا ومشروعها، ومطلوب الآن من جميع التوجهات السياسية السنية سواء التي رأت الحل في الإقليم السني أو في الانفصال أو بقاء العراق الموحد، هو التوحد لمقارعة إيران بشتى الوسائل والسبل السياسية والمسلحة؛ والإعلامية بكل صورها.

يمتلك أهل العراق السنة على كافة توجهاتهم - باستثناء مَن تعاون مع الحكومة الحالية وإيران لأسباب مالية- ، قدرة كبيرة على مقارعة إيران بالتوحد وإيقاف ولو جزء من مشروعها، شريطة أن يكون واضحا، أن: **إيران عدوة للعراقيين جميعا.** وهي لا تنوي إلا الاحتلال المباشر للعراق.

التوحد على هذا المبدأ الخطير يؤجل أهدافا أخرى كثيرة (ثانوية حالياً) ومتناقضة ويجمع المتفرقين؛ لأن مواجهة إيران كمحتل تؤجل كثيرا من الأمور المتنازع عليها بين التيارات القومية والوطنية والدينية، والتي منعت السنّة من التوحد خلال السنين الأربع الأخيرة بعد محاولات ظهور المشروع السني عام ٢٠١١.

حزب البعث العراقي:

رغم أن الحزب وقف بوجه المشروع السني رافضا له متذرعا مرة بوجود شيعة داخل الحزب أو أن التوجه السني مدعاة لتقسيم البلد، وغير ذلك من الآراء والأفكار، لكن الأمر اليوم جد مختلف فالبلد برمته يحتاج إلى إنقاذ، والذي يتعاون مع إيران - أيا كان توجهه- فهو متهم، ويمتلك الحزب طاقات متعددة وجيدة لمواجهة إيران، منها مثلا لا حصرا: أنه تنظيم، والتنظيمات القوية في العراق قليلة، ومن أشهرها حزب البعث، والحزب الإسلامي، وشعبية حزب البعث بين أوساط السنة لا بأس بها، وفاقت شعبيةَ الحزب الإسلامي الذي تدنت شعبيته نتيجه سلوكه السيئ والمشبوه أحيانا، كما إن للحزب قدرة إعلامية بواسطة مواقع التواصل الاجتماعي، ومواقعه الإخبارية، فضلا عن علاقاته مع مجموعة من الدول والمؤسسات العربية وغيرها، ويستطيع الحزب أن يثقف بشكل واسع عن الخطر الإيراني. كما أن له صلات قوية ببعض الفصائل القتالية؛ كجيش الطريقة النقشبندية وفصائل أخرى وهذه ممكن أن تفعل الكثير مستقبلا.

كما أن الحزب يستطيع مع ذوي التوجهات القومية والوطنية غير البعثية ممن يملكون حسا

---

(١) لا يعني هذا أنها صنعت الطائفية، لا! بل هي وظفتها بالتعاون مع الأحزاب الشيعية الدينية وإيران.

يهدف إلى المحافظة على تركيبة العراق وحدوده بغضّ النظر عن الانتماء الطائفي، كما وتمتلك التيارات القومية جذورا وتاريخا طويلا في محاربة الشعوبية والعداء الإيراني، وبحسب نظرتهم فإن حقيقة العداء الإيراني هو عداء فارسي للعراق والشام، كما أن البعث يملك علاقات ببقية أحزاب البعث في الدول العربية: الأردن وفلسطين واليمن والسودان وموريتانيا، ويستطيع أن يساعد في حشد رأي عربي يرفض الاحتلال الإيراني، وحزب البعث من خلال أجهزته الأمنية السابقة هو الأقدر على كشف إيران من الداخل.

هيئة علماء المسلمين:

غالب ما ينطبق على حزب البعث ينطبق على الهيئة، إلا أن الهيئة تملك قبولا من قطاعات غير بعثية من ذوي التوجهات الدينية وغير المنتمية لجهة ما والعشائرية، وتستطيع الهيئة أن توجد رأيا عاما تشارك به حزب البعث وتدفع القضية العراقية وتفضح الغزو الإيراني بشكل محسوس، كما أنها تملك قناة فضائية (قناة الرافدين) وتستطيع المشاركة بتوحيد الرؤى نحو الخطر الإيراني وأن هناك تواطؤا أمريكيا إيرانيا حول العراق، ولكن مع وفاة رئيسها الشيخ حارث الضاري[1] مؤخرا قد يضعف دور الهيئة.

التوجهات السنية:

هناك توجهات اختارت الهوية السنية ومنابذة التشيّع وإيران، وشكّلت هيئات سنية ومشاريع؛ مثل مشروع الدكتور طه الدليمي، والمشاريع الأخرى الفرعية والصغيرة ومحاولات الحصول على إقليم سني، هذه الدعوات مدعوة هي الأخرى لمرونة أكثر فإيران لن تهب الإقليم للسنة حاليا؛ لذا حرصت الحكومة العراقية برئاسة حيدر العبادي على عدم تسليح العشائر السنية، ومن قبله شاركت حكومة (المالكي) تنظيم القاعدة في محاربة الصحوات السنية، فتسليح السنة خط أحمر إيراني ولدى الأحزاب الشيعية أيضاً.

المطلوب اليوم مقارعة إيران بوسائل شتى، شريطة أن يتوقف التصارع السني السني، والسني الوطني، والسني القومي؛ لأن الجميع مُستهدف بالتصفية والتهجير أو الخنوع، والتشتت والتفرق يمنح العدو مساحة واسعة للتحرك والانتصار.

كما أنصح إخوتي في الحزب الإسلامي أو الإخوان المسلمين في العراق أن يمارسوا دورا فعالا وإيجابيا ويبتعدوا عن دور السيطرة والاستحواذ على المشاريع، الذي أفشل كثيرا من المشاريع السنية، فكلنا في مركب واحد، وإيران في آخر المطاف لن ترحمهم كما يتوهموا.

إقليم كردستان والأحزاب والتيارات الكردية:

تبدو خطة الحشد الشعبي بعد تكريت واضحة وهي الاستيلاء على مدينة كركوك أو جزء منها، ولن تترك إيران الأكراد حتى تضيق عليهم رزقهم وإقليمهم إلى أن يرضخوا لها، الأكراد اليوم يشعرون بالضعف بسبب تهديدات داعش، وتهديدات الحشد الشعبي، والقوات الشيعية والقوات الإيرانية، التي إن أخذت الحويجة وصلاح الدين ستجعلهم يرضخون لها لكن بثمن غال، وأعتقد أن تعاون الأكراد مع الجهات الوطنية العربية لإبقاء العراق موحدا خير لهم الآن، وتعاون ذوي التوجهات السنية مع الأكراد مطلوب وفي يدهم أوراق نافعة كثيرة.

التيارات الشيعية الرافضة لإيران:

العراق اليوم جميعه بخطر، وسيادته مهددة، ورغم قلة أو ضعف حجم التيارات الشيعية الرافضة للوجود الإيراني إلا أنها موجودة في الداخل والخارج، وصحيح أنها تُمنع من الظهور، لكنها تدرك أن مصير شيعة العراق في أحسن الأحوال هو مصير شيعة الأحواز، وأن معاداة إيران لها لا يختلف عن معاداتها لشيعة أذربيجان رغم وحدة المذهب،

(١) توفي في ١٣/ ٣/ ٢٠١٥ في تركيا ودفن في العاصمة الأردنية عمّان، رحمه الله.

لوجـود محـرك الـروح الفارسـية والعمـق والإرث الحضاري للإمبراطورية الفارسية التي هي من أقوى محركات السياسة الإيرانية.

وهـذه الشخـصيات الـشيعية يمكنهـا فـضح المـشروع الإيرانـي في العـراق إعلامياً بالتواصـل مـع القوى الوطنية العراقية والعربية في الجوار.

ختاما:

إن القـوى العراقيـة الـشريفة بكـل توجهاتهـا مـدعوة اليـوم لـترك الاختـلاف، سـواء الخـلاف حـول الإقلـيم أو الانفـصال أو التقـسيم، والخـلاف حـول الرؤيـة الوطنية والـسنية، فـإيران تبتلـع العـراق جميعـه ولابـد مـن التعـاون لوقـف هـذا الاسـتعمار الإيرانـي الجديد بكل الوسائل.

من رجالات إيران في العراق: أبو مهدي المهندس

خاص بالراصد

تمهيد:

لإيـران في العـراق رجـالات كُثـر، لـيس في زمننـا هـذا فقـط، بـل وفي أيـام الـصفويين، ومـن هـؤلاء: محمـد كمونـة (نقيـب النجـف) الـذي مهّـد للـصفويين دخـول لبغـداد، ومـنهم في زمـن حكـم شـاه إيـران محمـد رضـا بهلـوي: المرجـع الـشيعي محـسن الحكـيم[١] الـذي كـان يـأتمر بـأمر الـشاه، وكـان يعتـبر الـشاه آنـذاك حـامي التـشيّع في العـالم الإسلامي[٢].

وحتـى فكـرة تأسـيس حـزب الـدعوة كانـت بترتيـبٍ بـين شـاه إيـران والـشيعة لمواجهـة ثـورة ١٩٥٨ الـساعية لتحويـل العـراق مـن ملكيـة إلى جمهوريـة ضـمن الحـرب الـتي فتحـت بـين روسـيا وأمريكـا وبريطانيـا، ومحاربـة التوجهـات الـشيوعية في المنطقة[٣]؛ لـذا فعلاقـة شـيعة العـراق بـإيران هـي علاقـة قديمـة وليـست وليـدة مجـيء خمـيني للحكـم، لكـن انـدلاع الثـورة الإيرانيـة عـزز هـذه العلاقـة ووطـدها بشكل متميز.

ولابـد قبـل الـدخول في الموضـوع مـن التأكيـد علـى أنّ أكـبر حـزب شـيعي لـه فـضل علـى إحيـاء التـشيّع في العـالم العربـي المعاصـر مـن جديـد هـو حـزب الـدعوة العراقـي، فقـد تـأثّر هـذا الحـزب في وسـائله وبعـض طروحاتـه المعاصـرة بجماعـة الإخـوان المـسلمين وأحيانـا بحـزب التحريـر، وتنظيميـا بـالحزب الـشيوعي[٤]؛ لـذا كـان حزبـا عـصرياً ولـه قبـول بـين الـشباب المثقـف، وبـين أركـان وأحـضان هـذا الحـزب عـاش أبـو مهـدي المهنـدس الرجـل الـذي يعـدّ اليـوم أحـد أكبر ممثلي إيران في العراق.

حياة أبي مهدي المهندس:

ولـد جمـال جعفـر محمـد علـي آل إبـراهيم (الإبراهيمـي) في مدينـة البـصرة عـام ١٩٥٤، لأسـرة إيرانيـة الأصـل نزحـت مـن مدينـة كرمـان (مركـز محافظـة كرمـان جنـوب إيـران) بعـد قتـل عميـدها (الرضـا خـان الإبراهيمـي) بعـد تحويلـه العائلـة إلى اتبـاع الفرقـة الـشيخية الـشيعية، والـتي يتواجـد في هذه المدينة الكثير منهم.

كـان والـده عنـد مقدمـه يحمـل الجنـسية الإيرانيـة لكنـه حـصل علـى الجنـسية العراقيـة في أوائـل الخمـسينات بـدعم مـن المؤسـسة الـشيخية المقربـة مـن الحكومة العراقية الملكية آنذاك.

انتمـى لحـزب الـدعوة منـذ أن كـان في الإعداديـة أواخـر الـستينات مـن القـرن الماضـي، ودرس في حـوزة البـصرة (مكتـب المرجـع الحكـيم)، وتمَّ تنظيمـه مـن قبـل القيـادي في الـدعوة (عـز الـدين سـليم) الاسـم

(١) محسن الطباطبائي الحكيم (١٨٨٩- ١٩٧٠م) المرجع الشيعي، والد محمد باقر وعبد العزيز الحكيم، وجد عمار الحكيم وكلهم يحمل الجنسية الإيرانية.

(٢) كان لابنه مهدي الحكيم صلة بالسافاك الإيراني ورئيسه الجنرال فرازيان ومن ثم منصور بور، قبل مجيء خميني سنة ١٩٧٩.

(٣) بل الشاه كان وراء ابتعاث موسى الصدر للبنان ليبعد الشيعة عن التنظيمات الشيوعية.

(٤) انظر مقال: حزب الدعوة نسخة من الإخوان المسلمين لعلي الكوراني، وكالة براثا ٢٠١٤/٢/١٩،
http://burathanews.com/news/229475.html

الحركي لـ (عبد الزهرة عثمان أبو ياسين)[1]، وفي سنة ١٩٧٣ قُبل في قسم الهندسة المدنية في جامعة التكنولوجيا ببغداد، وتخرج منها سنة ١٩٧٧م، وبعد إنهائه الخدمة العسكرية، عمل في المنشأة العامة للحديد والصلب في البصرة، ثم حصل على ماجستير في العلوم السياسية.

أبو مهدي المهندس في الكويت:

عندما شعر بخطر اعتقاله سنة ١٩٨٠ بعد إعدام محمد باقر الصدر، وحملة اعتقالات رموز حزب الدعوة غادر إلى الكويت[2] وعمل مصلّحا للسيارات في منطقة الشويخ، وبقي في الكويت إلى أن اندلعت الحرب العراقية الإيرانية، ونتيجة لمواقف الكويت في دعم العراق ضد إيران، أمرت إيران خلاياها بضرب السفارتين الفرنسية والأمريكية، ومبانٍ أخرى في الكويت بعبوات محلية الصنع في ١٩٨٣/١٠/١٢، والتي أصيب بها ٨٠ غريبا بين قتيل وجريح، وضمن التحقيقات الكويتية الأمريكية جاء اسم المهندس كأحد المخططين والمنفذين للعملية، وكلهم ينتمون لحزب الدعوة وهم (الشيخ أبو مهدي المهندس، الشيخ أبو حسن هيثم، الشيخ أبو مصطفى الشيباني، الشيخ أبو رياض العنزي، الشيخ أبو حيدر الخرمشهري، الشيخ أبو كريم الساعدي، الشيخ صدر الدين القبانجي)، واختفى أبو مهدي بعد أن أصبح مطلوباً للقضاء الأمريكي والكويتي، وصدر عليه حكم بالإعدام، ومنع من دخول دول الخليج ومصر والمغرب العربي فضلا عن أمريكا والدول الغربية، وتمّ تهريبه من الكويت بجواز سفر باكستاني مزور باسم (جمال علي عبد النبي).

أبو مهدي المهندس في إيران:

هرب أبو مهدي إلى إيران، وهناك تحول تنظيمياً من حزب الدعوة إلى المجلس الأعلى وتزوج من امرأة إيرانية تكبره بسنين، ومُنح الجنسية الإيرانية.

وبعد سنتين وبتاريخ (١٩٨٥/٥/٢٥) خطط وهو في إيران لاغتيال أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح، وهي المحاولة التي نفذت بسيارة مفخخة أدّت إلى وفاة عدد من أفراد حماية الأمير، وأصبح مطلوبا من جديد للقضاء الكويتي بتهمة جديدة.

تدرج في قيادة فيلق بدر، الجناح العسكري للمجلس الأعلى[3]، وفي سنة ١٩٨٧ أصبح قائده العام، لكنه سُحب إلى فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني ليعمل بخلية مستقلة تدعى (التجمع الإسلامي) كانت مهمتها في الحرب العراقية الإيرانية مهاجمة مدن عراقية وكان هذا سنة ١٩٨٨، ومارس ضمن هذه الخلية عمليات إعدام لأسرى عراقيين من الجيش العراقي.

وبعد نهاية الحرب العراقية الإيرانية سنة ١٩٨٨ رجع لفيلق بدر وعيّن رئيسا لأركانه بديلا عن محمد تقي المولى لضلوعه بقضية فساد مالي، وبقي في هذا المنصب حتى سنة ٢٠٠٢م.

ويَذكر المهندس عن نفسه أنه شارك في الانتفاضة الشعبانية سنة ١٩٩١ ضد النظام العراقي، ثم غادر إلى مدينة حلبجة الكردية.

نشأ خلاف بينه وبين عبد العزيز الحكيم فأُخرج من التنظيم وعيّن هادي العمري بديلا عنه، رغم أن هادي يومها كانت منتميا لحزب الدعوة (جناح آصفي)[4]، لكن إيران فرضته فرضا على المجلس العسكري.

أبو مهدي المهندس في العراق:

بعد احتلال العراق سنة ٢٠٠٣ ودخول المجلس الأعلى وقيادات بدر ومنهم أبو مهدي المهندس للعراق، عمل بشكل سري لصالح إيران وظهر اسمه لأول مرة سنة ٢٠٠٥ عندما كشفت فضيحة ملجأ الجادرية؛ وهو معتقل سري غير تابع

(١) رئيس سابق لمجلس الحكم العراقي الانتقالي، اغتيل في بغداد سنة ٢٠٠٤م.

(٢) عندما نقرأ تاريخ الأحزاب الشيعية سنجد أن أغلب مؤسسيها فرّ من العراق ليستقر في كل من: الكويت، البحرين، الإمارات، وواصل نشاطه التخريبي والإرهابي في غياب تام للحس الأمني لهذه الدول.

(٣) شكله محمد باقر الحكيم سنة ١٩٨٣ في إيران.

(٤) انقسم حزب الدعوة لعدة أجنحة وكان هذا الجناح تابعا لإيران.

للحكومة؛ كان أبو مهدي المهندس مع مجموعة من الضباط الإيرانيين يحققون مع ضباط في الجيش العراقي السابق شاركوا في الحرب ضد إيران وتعذيبهم وتصفية بعضهم فيه، وكان وزير الداخلية وقتها باقر صولاغ الزبيدي هو من يعتقل هؤلاء بأوامر منه (بشكل رسمي) ثم يحولون للملجأ، وكانت القوات الأمريكية هي التي اكتشفت السجن، وادعى صولاغ وقتها أن اختراقا بعثيا حصل لتشويه صورة الحكومة العراقية، ذلك أن نوعية التعذيب التي مورست فيه كانت في غاية البشاعة؛ من حرق وثقب بالدريل، واغتصاب الزوجات أمام الضباط.

وقد فضح هذه المعلومات أحد الضباط الذين شاركوا القوات الأمريكية (حيدر جمال) في الهجوم على الملجأ، والذي سرب كثيرا من المعلومات؛ لذا فقد تمَّ تصفيته بعد الحادثة بتاريخ ٢٦/١١/٢٠٠٥ ليختفي التسريب؛ لأن الأمريكان يستخدمون مثل هذه المعلومات كورقة ضغط ولا يسربون مثل هذه الفضائح إلا بما يحقق مصالحهم.

أدرجت أمريكا اسم المهندس كمشرف على ملجأ العامرية بعد هروبه إلى إيران لأنه أصبح مطلوبا، وقد ساعده نوري المالكي على الهرب سنة ٢٠٠٧، وأصبح مطلوبا للانتربول لجرائمه السابقة واللاحقة.

لم يقتصر نشاط المهندس على هذا فقط، بل كان له دور فاعل في تهيئة كوادر مؤثرة لصالح المشروع الإيراني في العراق كاختياره لأشخاص من أمثال علي فيصل اللامي[1] المدير التنفيذي لهيئة اجتثاث البعث، والذي ارتبط بإيران منذ سنة ١٩٩٩، وكانت توجهاته تميل للتيار الصدري الذي جندته إيران (أنصار الشهيد الصدر)[2] في منطقة الأهوار لمهاجمة العراق، والذي ارتبط بفرع رمضان التابع لفيلق القدس الإيراني.

(١) تم اغتياله سنة ٢٠١١ بمسدس كاتم للصوت.

(٢) هذه المؤسسة فعّلتها إيران بعد اغتيال محمد صادق الصدر، والد مقتدى.

ومن أعمال المهندس في هذه الفترة تأسيس البيت الشيعي في سنة ٢٠٠٥، ومن ثم الائتلاف الوطني العراقي، والتحالف الوطني. وكلها مؤسسات أسستها إيران للمّ شعث التفرق والخلاف الشيعي الشيعي.

كما يمتلك المهندس علاقات متميزة مع المرجعيات الشيعية والقيادية، لكنه شخصيا كان يكنّ بغضا وكراهة للصدريين ويصفهم بعدم الإيمان، ويعتبر أن مرجعية السيستاني هي أفضل مرجعية بعد محسن الحكيم (ت: ١٩٧٠)، فهو لا يحترم مرجعية الخوئي ولا والد مقتدى (محمد صادق الصدر) ويعمل على تهيئة الوضع لبشير النجفي لخلافة السيستاني.

وأبو مهدي المهندس أسس مركزا للدراسات في مدينة الكاظمية ببغداد (مركز تواجد القيادات الإيرانية) وكان يريد تأسيس قناة فضائية لكن المشروع لم ينجح، وفي انتخابات سنة ٢٠٠٦ ترشح على قائمة نوري المالكي باسم **جمال جعفر محمد علي الإبراهيمي** عن محافظة بابل، وفاز كنائب للبرلمان وعُين في لجنة مؤسسات المجتمع المدني.

كذلك عمل بشكل دؤوب لتأسيس تشكيلات ميليشاوية جديدة؛ فأسس سنة ٢٠٠٦ مليشيا حزب الله على غرار حزب الله اللبناني، ترتبط مباشرة بفيلق القدس، وقرر أن تعمل في بغداد والبصرة، لاستهداف القوات الأمريكية، كما أنه أسس خلايا صغيرة مدربة على استخدام الأسلحة والتفجيرات، كل مجموعة لا تنقص عن ٢٠ ولا تزيد عن ٥٠ شخصا.

وساهم أبو مهدي في تأسيس عدة مؤسسات ثقافية في الظاهر وفي حقيقتها هي مؤسسات إيرانية التوجه للتجسس والتخريب داخل العراق مثل:

١- **مؤسسة دار القرآن:** التي نشطت في المدن الجنوبية للعراق وبغداد، وتعتبر إحدى أكبر المؤسسات الثقافية (في الظاهر) الناشطة التابعة لهيئة (مبين) في (قوة القدس) في العراق. وكان أحد أعضاء الهيئة المركزية للمجلس الأعلى عدنان

إبراهيم محسن المحسني ولقبه (أبو علي البصري) برتبة عميد في فيلق القدس[1] على رأس إدارة هذه المؤسسة، وهو من الضباط القدامى في فيلق القدس، كما كان قائداً لقوات بدر في إيران، وللمؤسسة مركزان في مدينتي العمارة والبصرة.

٢ - **مؤسسة الإمام الهادي**: ويديرها في البصرة شخص إيراني (أبو تماضر) واسمه الحقيقي محسن المحسن، وهو تابع لفيلق القدس، وأقام في إيران لمدة طويلة وعمل في قسم الأفراد والتحقيق لقوة بدر، وهو من مسؤولي تنظيم (التجمع الإسلامي) التابع لأبي مهدي المهندس وكانت له علاقات وطيدة مع هيئة (مبين) و (قوة القدس).

٣- **مؤسسة المدينة المنورة**: تم تأسيسها من قبل شخصين هما: (أبو فرقد) صادق عبد الأمير محمد السعداوي[2] و(أبو زكي الأسدي)[3]، وتعتبر هذه المؤسسات الثلاث الشركات الوهمية التابعة للشبكات التي يقودها أبو مهدي المهندس في العراق.

وأكرر أن هذه المؤسسات في الحقيقة هي مؤسسات تجسس إيرانية تتبع فيلق القدس بواجهات منظمات مجمتع مدني.

بعد الانسحاب الأمريكي عاد أبو مهدي المهندس للعراق، وتقرب من نوري المالكي بل وأصبح من مستشاريه غير المعلنين وله صلة وطيدة به، وغدت آراؤه موطن احترام وتقدير عند المالكي، وتميّز أبو مهدي بعزوفه عن الظهور المعلن على الشاشات، كما لا يميل لكثرة التصريحات، بل يعمل بصمت وتخطيط.

أبو مهدي المهندس بعد انتخابات ٢٠١٤:

تغيرت الأمور منذ ظهور داعش في ٢٠١٤/٦/١٠، وتصاعد الضغط الأمريكي لإزاحة نوري المالكي؛ وتعيين حيدر العبادي الذي لا ترغب به إيران، ولا تملك صلات قديمة معه؛ لذلك كان لابد من ترشيحات تحفظ لإيران بقاء الدولة العراقية تابعة لها ولو بدون رئيس وزراء تابع لها، وحاولت تأسيس حكومة ظل إيرانية، فقام أبو مهدي المهندس بترشيح وزير الداخلية محمد الغبان كونه مرتبطا بفيلق القدس من رجال إيران، بعد أن رفضت أمريكا ترشيح هادي العامري.

كما أن إيران أظهرت دور المهندس؛ وأنه في الواقع المثل الفعلي لفيلق بدر وما هادي العامري إلا تابع له أو نائب، وقد حرص المهندس على أن يُظهر العامري في الواجهة ويتولى إطلاق التصريحات.

ويمتلك المهندس عدة مقرات غير معلنة، وعليها حراسات مشددة ومما عرف من مقراته: فيلا على نهر دجلة كانت عائدة للأخ غير الشقيق لصدام حسين (وطبان إبراهيم الحسن)، وكذا بناية في مجمع القادسية، وبناية في منطقة العطيفية، وبناية في الكرادة الشرقية، هذا هو المعلن ولا يمنع هذا من وجود مقرات سرية أخرى.

وبعد أن قررت إيران أن تواجه داعش مباشرة، لتثبت لأمريكا أنها قادرة على القضاء على داعش والسيطرة على العراق دون الحاجة لها، اضطرت إيران إلى أن تظهر رجالاتها في العراق، فظهر المهندس مُصرحا ومخططا؛ فبدأ إعلاميا بمهاجمة السعودية على أنها ممولة لداعش بالرجال والمال، في ذات الوقت مدح إيران، وأنها هي من تساعد العراق، وأعلن أنها ترسل ثلاث طيارات يوميا كسلاح للحشد الشعبي (المتكون من ٤٢ ميليشيا) كما صرح أنه سيشن هجوما على صلاح الدين بالحشد الشعبي ليحررها من داعش.

وظهرت صوره على الدبابات على أنه نائب رئيس الحشد الشعبي، وأن تحت إمرته ٧٠ ألف شخص مدرب من الميليشيات التابعة للحشد الشعبي.

وكان يخاطب الحشد الشعبي ويحثهم على القتال، ويصرح أن نهاية داعش قد اقتربت خلال أشهر معدودة، وستنتهي داعش في محافظة صلاح الدين، وأنه تمّ تحرير محافظة ديالى، وأنه قد

---

(١) اسمه الإيراني عدنان محسني يتولى.

(٢) كان يُعرف في إيران باسم صادق سعداوي.

(٣) وهو إيراني يدعى محمد صادق عباس الأسدي.

يـشارك في تحريـر الموصـل بمـشاركة أهلـها، لكنـه صـرح أن تحرير تلّعفـر مهـم (لأنها مـن مـدن الـشيعة)، وسيشارك عشائر أهل السنة تحرير محافظة الأنبار.

ومـن خبثـه في تـصريحاته أنـه كـان يـروج لفرية خطـيرة، وهــي أن عـدد الأجانـب في داعـش بـالعراق قليـل، في تلمـيح وإشـارة إلى أن الموجـودين كلـهم سـنة عراقيـون، ويـصرح علنـا أن الوهابيـة والبعثـيين هـم أعداء العراق، وأنه لولا إيران لضاع العراق.

هـذه هـي سـيرة مختـصرة لحيـاة أشـهر رجـالات إيران المخلصين في العراق.

الفرس وأوهام الإمبراطورية
الإيرانيون يتحركون تحت راية أمريكا ويحتفلون بالانتصار!
يخسرون في العراق وسوريا ومعركة اليمن لم تبدأ بعد

عامر عبد المنعم(*) – خاص بالراصد

لم يحـدث أن تعرضـت الأمـة الإسـلامية لكـمّ مـن الجـرائم والفظـائع علـى يـد غـزاة أكثـر مما رأينـاه في الـسنوات الأخيرة علـى يـد إيـران وأتباعهـا بالمنطقـة العربيـة، فكـمّ العـداوة والحقـد الطـائفي الـذي تـشهده المنطقـة منـذ دخـول إيـران فـاق مـا فعلـه الأمريكيـون والبريطـانيون والجيـوش الـصليبية الـتي احتلـت العــراق في ٢٠٠٣ عقــب الغــزو الــذي قــاده الــرئيس الأمريكــي الــسابق جــورج بــوش زعــيم المحافظين الجدد.

رغــم أن المعــارك محتدمــة، والاشــتباك العـسكري بـين المـشروع الإيرانـي الـشيعي مـع شـعوب الـسنة في العـراق وسـوريا والـيمن لم يتوقـف خـرج علينـا علـي يونـسي رئـيس الاسـتخبارات الإيرانيـة في عهـد خـاتمي، والمستـشار الحـالي للـرئيس الإيرانـي، حـسن روحـاني، بتـصريحات عبّـر فيهـا عـن حالـة النـشوة والزهـو الـتي يعيشها الإيرانيون هـذه الأيام بعد سـيطرة الـشيعة علـى ٤ عواصـم عربيـة، حيـث أدلى بتـصريحات تعـبر عـن الـشعور الـوهمي بالانتـصار في معـارك لم تنتـه بعـد، فاضـحاً الطموحـات الفارسـية في استعادة مجد غابر لن يعود بإذن الله.

قـال علـي يونـسي إن «إيـران اليـوم أصـبحت إمبراطوريـة كمـا كانـت عـبر التـاريخ وعاصـمتها بغـداد حاليـا، وهــي مركــز حــضارتنا وثقافتنــا وهويتنـا اليـوم كمـا في الماضـي»، في إشـارة إلى إحيـاء إمبراطوريــة فــارس قبــل الإســلام والــتي أســقطها المسلمون في عهـد سـيدنا عمـر بـن الخطـاب علـى يـد خالد بن الوليد.

وأضــاف يونـسي في تـصريحاته خــلال منتـدى «الهويــة الإيرانيــة» بطهــران أمــام مجموعــة مــن الطلبـة الإيـرانيين إن «جغرافيـة إيـران والعـراق غـير قابلـة للتجزئـة وثقافتنـا غـير قابلـة للتفكيـك، لـذا إمـا أن نقاتـل معـا أو نتحـد» وتمـادى يونـسي في أوهامـه وأطمــاع إيــران بــالقول إن «كــل منطقــة الــشرق الأوسـط إيرانيـة.. وسـندافع عـن كـل شـعوب المنطقـة، لأننا نعتبرهم جزءا من إيران».

حــدد يونــسي خــصوم وأعــداء إيــران الــذين يقفـون ضـد المـشروع الفارسـي بـأنهم «التطـرف الإسـلامي والـتكفير والإلحـاد والعثمـانيين الجـدد والوهــابيين والغــرب والــصهيونية» وقــال: «إن منافــسينا التــاريخيين مــن ورثــة الــروم الــشرقية والعثمانيين مستاؤون من دعمنا للعراق».

وهـذا الخطـاب المرتبـك يكـشف عـن حالـة مـن التـضليل، المقـصود منـه خـداع الـرأي العـام المحلـي وتقــديم صــورة ورديــة للــسياسة الإيرانيــة لتحــسين صـورة الحكـم أمـام الأزمـات الداخليـة، وأيـضا لرفـع معنويـات المتـشيعين خـارج إيـران بعـد تـصاعد موجـة الكراهيـة في العـالم الإسـلامي ضـد كـل مـا هـو إيرانــي بــسبب الإجــرام الطـائفي الـذي خـرب كـل البلاد التي تدخلت فيها إيران.

(*) كاتب مصري.

ولكن هل حقا حققت إيران الحلم الإمبراطوري؟

بالتأكيد لا، فالسياسة الإيرانية خسرت الكثير، وهذا التوسع الشيعي الحالي مؤقت، وبروزه بهذا الشكل دليل ضعفه، وليس مؤشراً على القوة، فالمشروع الشيعي في تراجع وانكسار، وهذه بعض المؤشرات التي تلخص حقيقة هذا التراجع:

١- النفوذ الإيراني في العراق ليس لقوة إيران ولا يعود لجهد خاص بها وإنما لتعاونها مع أمريكا والغرب الصليبي، منذ الغزو الصليبي الغربي لأفغانستان في ٢٠٠١ واحتلال العراق في ٢٠٠٣. لقد قدموا الدعم للمحتلين وتجنيد أتباعها في الحملة الصليبية، والاشتراك مع الغربيين في قتل العراقيين ومواجهة أي مقاومة للمحتل، وهذا التعاون مع الصليبيين مستمر حتى اليوم فلا تتحرك القوات الإيرانية في العراق إلا بغطاء الجو للتحالف الذي تقوده أمريكا، وبدون هذا الغطاء لا تستطيع القوات الإيرانية وعملاؤها من ميليشيات تابعة للحكومة العراقية الطائفية أن تخرج من معسكراتها.

٢- في العراق لم تستطع إيران حسم المعارك لصالحها وتحقيق أي انتصار يعتد به، وكما هو معلوم فإن الجيش الإيراني منخرط في القتال بفرق عسكرية من الحرس الثوري بقيادة الجنرال الإيراني قاسم سليماني، ورغم استخدام إيران لكل أسلحة ومعدات الجيش النظامي باتفاق مع وزارة الدفاع الأمريكية لم تنتصر القوات الفارسية، بل اتجاه القتال يؤكد فشل الإيرانيين في تحقيق إنجاز عسكري مهم.

٣- ما تمارسه القوات الإيرانية ضد العراقيين السنة جرائم حرب وفظائع تجلب لهم العار وليس الفخر، فقصف الطائرات الإيرانية لمدن السنة وقصف بيوت ومنازل المدنيين والمساجد ليس عملا يستحق الفخر، وإنما يكشف عن الحقد الطائفي، كما أن خير دليل على الإجرام الطائفي الفارسي عمليات التطهير العرقي للسنة وحرق المواطنين السنة وحرق منازلهم في مناطق بمحافظة ديالى شرق البلاد، وهناك فظائع بسبب هجوم القوات الإيرانية وميليشيا الحشد الطائفي التي تستعين بها قوات الحرس الثوري في المعارك. كل هذه الممارسات ولدت روحاً ثأرية لدى كل العراقيين السنة وأوقدت نارا في الصدور لن تخمد إلا بعد الثأر.

٤- انكسرت القوات الإيرانية على أسوار تكريت في هجومها الأخير رغم حشد أكثر من ٣٠ ألف جندي بدباباتهم وراجمات الصواريخ والغطاء الجوي بالطائرات الإيرانية وسلاح الجو للتحالف الأمريكي، ومن المعروف أن تكريت تعرضت لعشرات الهجمات التي شاركت فيها قوات إيران بغرض احتلالها ولكن الفشل كان هو النتيجة الوحيدة في كل هذه الهجمات. ومعركة تكريت بجانب أهميتها الاستراتيجية فهي معركة رمزية حيث أنها مسقط رأس الرئيس العراقي السابق صدام حسين، ويريد الإيرانيون دخولها ونبش قبره انتقاما وثأرا، ولكنهم فشلوا.

٥- دخول الجيش الإيراني بشكل مباشر في القتال داخل العراق دليل على تراجع المشروع الشيعي وليس انتصاره، فهذه المشاركة بالفرق العسكرية الإيرانية بقيادة إيرانية، تؤكد انهيار الجيش العراقي الطائفي وأجهزته الأمنية (مليونا فرد) رغم كل ما أنفق عليه من مليارات وما معه من أسلحة أمريكية، وهذا يعني أن مقاومة السنة التي استنزفت القوات الأمريكية ودمرت جيوش أمريكا والغرب البرية ومعداتها الأرضية، والتي دمرت الجيش العراقي الطائفي لن تصمد أمامها القوات الإيرانية التي تقاتل على أرض معادية وبيئة كارهة غير حاضنة.

سوريا ولبنان

واذا تركنا العراق إلى سوريا سنجد الحال ليس في صالح إمبراطورية إيران الوهمية، فلم تستطع

إيـران أن تحـسم المعركـة لـصالح بـشار الأسـد، ولم تـستطع وقـف زحـف الثـوار الـسوريين ومنـع تقـدمهم. نعـم شـاركت إيـران في تعطيـل سـقوط النظـام بالمـشاركة مـع القـوى الإقليميـة والدوليـة لأسـباب متعـددة لكـن حكـم بـشار انتهـى ولـيس لـه مـستقبل، وسـقوطه مـسألة وقـت لـيس إلا، ويومهـا ستخـسر إيران كل شيء وستخرج من سوريا.

يمكـن تلخـيص الانتكاسـات الإيرانيـة في سـوريا ولبنان فيما يلي:

١- تعتمـد إيـران في سـوريا بـشكل أساسـي علـى قـوات حـزب الله اللبنـاني، لوجـوده بـالقرب مـن منطقـة القتـال، وكمـا هـو واضـح فـإن حـزب الله تعـرض لخـسائر كـبيرة خـلال الـشهور الأخـيرة، ولم تـسعفه الـصواريخ والأسـلحة الإيرانيـة في تحقيـق انتـصارات أمـام المقـاتلين الـسنة، بـل انقلـب اتجـاه القتـال وخـسر حـزب الله الكـثير مـن المعـارك وفقـد العديـد مـن جنوده.

٢- تـورُّط حـزب الله في سـوريا زاد مـن حجـم المعارضـة لـه في الـداخل اللبنـاني، بمـا جعـل الحـزب في موقـف ضـعيف، وتطـور الأمـر بعـد امتـداد المعـارك إلى داخـل حـدود لبنـان في عرسـال والمنـاطق القريبـة منهـا، وبـدأت فكـرة هيمنـة الحـزب علـى لبنـان تهتـز، وهـذا يعني تراجع المشروع الشيعي وليس صعوده.

٣- تغـيير حـزب الله اتجـاه إطـلاق الـصواريخ الـتي يحـصل عليهـا مـن إيـران مـن الكيـان الـصهيوني وتوجيههـا للـسنة في سـوريا أسـقط مـا يـسمى محـور الممانعـة، وفـضح التحـالف الإيرانـي الأمريكـي وكـشف عـن التقـاء الفـرس الـشيعة مـع الغـرب الـصليبي ضـد الـسنة وهـذا ينهـي أي تعـاطف مـع حـزب الله كمـشروع مقـاوم كمـا كـان يقـدم نفسه للـرأي العـام العربـي، وكـشف التـوتر الأخـير علـى الحـدود مـع الكيـان الـصهيوني عـن وجـود تفاهمـات بـين «إسرائيل» وإيران والحزب.

٤- اضـطرت إيـران لـسحب بعـض الفـرق العـسكرية التابعـة للحـرس الثـوري في سـوريا لمواجهـة التطـورات في العـراق، ونفـس الأمـر حـدث مـع الفـرق العـسكرية التابعـة لـشيعة العـراق، وهـذا أضـعف الوجـود العـسكري الـشيعي في سـوريا ولم يـزد مـن قـوة الـشيعة العـسكرية في العـراق الـتي تحولـت إلى محرقـة يوميـة للـشيعة العـراقيين والإيـرانيين علـى السواء.

اليمن

يـأتي الـشعور الإيرانـي بالانتـصار بعـد سـيطرة الحـوثيين علـى صنعاء، فهـذه الخطـوة هـي الـتي جعلـت الإيـرانيين يتـسرعون في الإعـلان عـن نجـاح الحلـم الإمبراطـوري، فهـم اعتـبروا سـقوط صـنعاء وصـولَ إيـران إلى البحـر الأحمـر والـسيطرة علـى خلـيج عـدن وبـاب المنـدب بجانـب الوصـول إلى البحـر الأبـيض المتوسط.

ظـن الإيرانيـون أن سـقوط صـنعاء نهايـة المعـارك، ووضـع الجزيـرة العربيـة بـين فكـي الكماشـة الفارسـية، ولكـن هـذا الاسـتعجال في إعـلان انتـصار المـشروع الإيرانـي وتحقيـق الحلـم الإمبراطـوري مجـرد وهْـم، فـسقوط صـنعاء لا يعـني الـسيطرة علـى الـيمن للأسباب الآتية:

١- سـقوط صـنعاء لم يـتم بالقتـال وإنمـا بالخيانـة وشـراء الـذمم، فلـم يـسيطر الحوثيـون التـابعون لإيـران بقـوتهم العـسكرية ابتـداء مـن دمـاج ومـرورا بعمـران إلى دخـول صـنعاء، فهـذا الـسقوط كـان نتيجـة جهـد دولـي وإقليمـي لتـسليم الحـوثي حكـم الـيمن، فأمريكـا والغـرب اسـتخدما الحـوثي لمحاربـة القاعـدة، بينمـا موّلـت دول خليجيـة علـي عبـد الله صـالح والحـوثي للـتخلص مـن التجمـع الـيمني للإصلاح.

٢- الـدعم الـذي لقيـه الانقـلاب الحـوثي في البدايـة تغـير الآن، خاصـة مـع تغـير الإدارة الـسعودية بعـد وفـاة الملـك عبـد الله، وغيّـر التوجـه الجديـد للملـك سلمان سياسة المملكة المتعلقة باليمن.

٣- فـشل الانقـلاب الحـوثي في الـسيطرة علـى خمـسة أقـاليم مـن سـتة بـسبب ممارسـاته الطائفيـة والجـرائم الـتي ارتكبهـا، فـالحوثي يـسيطر علـى إقلـيم آزال بينمـا تمـردت عليـه أقـاليم مـأرب والجَنـد

وتهامة وعدن وحضرموت، وحتى إقليم آزال الذي يضم العاصمة صنعاء فإن الحوثيين به أقلية، بينما الأغلبية سنة ورافضون للانقلاب، ولا يمر يوم في العاصمة دون احتجاجات.

٤- استقالة الرئيس عبد ربه منصور هادي ثم خروجه من صنعاء إلى عدن وإعلان التمسك بمنصبه وأن الاستقالة كانت تحت التهديد كشف الغطاء السياسي للانقلاب، وزادت أزمة الحوثي بنقل دول الخليج لسفاراتها إلى عدن، الأمر الذي كشف مؤامرة الأمم المتحدة لتمكين الحوثي من خلال مبعوثها المغربي جمال بن عمر، وفتح الباب أمام تحرك خليجي مهم تقوده المملكة العربية السعودية.

٥- الشعب اليمني السني لم يتحرك عسكريا حتى الآن مراهنا على الحلول السياسية، ويحرص على أن يكون اللجوء للعمل العسكري ضد الميليشيات في إطار الدولة، لكن هذا الصبر لن يستمر طويلا، وعندها ستكون نهاية الانقلاب.

٦- الخسائر اليومية لميليشيا الحوثي في محافظة البيضاء، خاصة في قيفة ورداع تمثل عملية استنزاف كبيرة لن يتحملها الانقلابيون الطائفيون كثيرا.

ما سبق يؤكد أن المعارك التي تخوضها الأمة ضد المشروع الإيراني لم تنتهِ حتى يفرحوا، فالمعارك محتدمة في العراق وسوريا، ولم تبدأ بعد في اليمن، وبوادرها تظهر في لبنان، وكل المؤشرات تؤكد أن المشروع الإيراني في تراجع وليس في صعود، ففي العراق انهار جيش الشيعة العراقيين، والحرس الثوري الإيراني مكشوف الظهر، بل تتلقى إيران يوميا قتلاها في توابيت تنتشر صورها على شبكات التواصل. وفي سوريا تنسحب قوات إيران وحزب الله يوميا أمام ضربات المقاتلين والثوار ضد نظام بشار وأصبحوا في موقف دفاعي انسحابي، وفي اليمن لم تبدأ المعركة الرئيسية ضد إيران حتى الآن، وهذا يشير إلى خسارة المعركة وليس إطلاق إعلانات الانتصار والإمبراطورية المزعومة.

لقد اقتربت نهاية المشروع الإيراني، وانكشفت كل الشعارات الكاذبة، التي خَدعوا بها كثيرين فترة طويلة من الزمن مثل «الموت لأمريكا» و«الموت لإسرائيل» فالموت الإيراني الفارسي كان دائما للعرب والمسلمين، وتحالفوا مع أمريكا في كل حروبها ضد المسلمين.

التنظيمات الشيعية... الإرهاب في ثياب الماكرين

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

أدرك أن مقالي هذا وغيره ربما لن يكون لهم أثر حقيقي وفعال في تغيير قناعات الكثيرين ممن يرون أن العنف المسلح هو أحد سمات الجماعات والتنظيمات الإسلامية بشكل عام والسنية بشكل خاص ذلك أن قدرات الآلة الإعلامية التي تعمل ليل نهار على ترسيخ وتثبيت ذلك الادعاء أكبر من أن تواجَه بمقال أو عبر مجموعة من المقالات والدراسات إذ هي في حاجة إلى آلة إعلامية موازية يمكنها أن تدحض هذه المزاعم بل وتحاول أن تحدث حالة إيقاظ لأولئك الذين انخرطوا من صفوف أهل السنة في هذه العملية الدعائية دون وعي كامل بحقيقة ما يقومون به بالإضافة إلى اعتقادهم بأنهم يشاركون في مكافحة ومواجهة الإرهاب.

ولعل تفسير إحجام البعض عن القيام بعبء الرد على هذه الدعاوى يكمن في خشية هؤلاء من أن يتم وصمهم بدعم الإرهاب أو أنهم يحاولون لفت الأنظار بعيدا عن معركة مواجهته وذلك بالإشارة

(*) كاتب مصري.

إلى أن هذا السلوك ليس منحصرا في الجماعات السنية وأن العنف ربما يكون سلوكا متطرفا تسلكه الكثير من التنظيمات، يتساوى في ذلك السنية منها أو الشيعية أو الشيوعية أو الليبرالية وما إلى ذلك.

والحقيقة أن الأمر على العكس تماما فالكثير من العنف – وليس كله - الذي تمارسه جماعات وتنظيمات إسلامية سنية لا يخرج عن طور رد الفعل على عنف صدر عن تنظيمات أخرى استهدفت هذه التنظيمات الإسلامية السنية أو استهدفت إقصاءها فكان هذا السلوك منها دفاعا عن حقها في الوجود ومن ثم وبناء على ذلك فإن كشف عنف بقية التنظيمات ومحاولة البحث عن حلول جذرية وليست شكلية لهذا العنف هو الطريق الأصوب للتعاطي مع الظاهرة التي بدا أن انتهاج الحلول الأمنية أو الحلول المؤقتة معها لم يزدها إلا اشتعالا وانتشارا فالظاهرة في أصلها النتيجة الطبيعية لصراع الوجود إذ من المعلوم ووفق دراسة الكثير من التاريخ الحركي لهذه التنظيمات أنها تبدأ كمحاولة للمشاركة بفعالية في الحياة السياسية والاجتماعية أو تحتل لها مكانا دعويا لكنها وفي مقابل الإقصاء والتهميش تلجأ للعنف.

ولا يتعارض هذا مع القول بأن بعض هذه التنظيمات بدأ عنيفا بالفعل منذ لحظة التأسيس لكن ذلك أيضا لم يكن من فراغ فهو وبحسب تصور القائمين عليها جاء للدفاع عن حقوق أهل السنة الذين تم استلاب حقوقهم وسط صمت من الجميع وهو ما يمكن أن يفسر هذا العنف الشديد الذي لا يقتصر أثره على من مارسوا عمليات الإقصاء واستلاب الحقوق فحسب بل ويشمل أيضا من دعم أو ارتضى أو حتى اتخذ موقفا سلبيا إزاء ما يحدث ولو كان هؤلاء من المنتمين لأهل السنة.

ليس ما سبق تبريرا لهذا العنف لكنه محاولة للتفسير وشتان ما بينهما من فرق حيث يقصد البعض متعمدا وبكل أسف الخلط بينهما ليكون سيف إرهاب يسلطه على رقاب كل أصحاب المساعي الجادة للقضاء على الظاهرة وهو ما يكشف عن سوء نية لهؤلاء ويؤكد أن المصالح الضيقة والحسابات الطائفية أو الانتهازية السياسية هي ما يحكم سلوك النخبة السياسية لدى أصحاب الكثير من الاتجاهات بغض النظر عن الشعارات التي تتبناها هذه التوجهات فالبون شاسع ما بين القول والفعل، بل إن الحقيقة المرة أن بقاء هذا العنف وتداعياته السلبية والتخريبية لهي أكثر قبولا لدى هؤلاء من أن تعلو الإرادة الجماهيرية بعيدا عن أية ضغوطات أو أن تحظى هذه الفئة بحقها في التعبير عن نفسها والمشاركة في صنع مستقبل أوطانها.

ولا يعدم هؤلاء الإقصائيون من أن يقدموا بعض الذرائع الخادعة للإيهام بأن ذلك ليس إلا لتحقيق المصالح العليا فالبعض لا يفتأ يردد أن البلاد في معركة ومن ثم «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة» وعليه فلابد أن يبقى «قباطين» السفينة كما هم لا يزاحمهم أحد على القيادة بل لتخرس كل الألسنة التي تتحدث عن الحرية أو تجهر بمطالب خاصة، أو يستغل بعض الإقصائيين حالة الرغبة في الثأر لدى بعض القوى الدولية من أهل السنة التي أفرزت أغلب حركات المقاومة ضد الفكر الاستعماري والهيمنة التي مارستها هذه القوى ولا زالت على الأوطان العربية والإسلامية فعمد هؤلاء الإقصائيون إلى ترسيخ الربط بين «السنة» والعنف وأن التنظيمات السنية لا يمكنها بحال من الأحوال أن تقبل بالتعايش مع الآخرين الأمر الذي ضاعف من الضغوط الملقاة على عاتق «السنة» والتنظيمات المحسوبة عليهم لتتضاعف ردود الفعل العنيفة من قبل بعض هذه التنظيمات.

الصورة من أعلى

ليس أقل من أن نصف أصحاب التصور بأن العنف محصور داخل التنظيمات السنية بأنهم ضعيفو البصر لا يرون الصورة كاملة أو أن بعض تفاصيلها تغيب عنهم ذلك أنهم أسلموا رؤيتهم لتصورات مسبقة أمليت عليهم عبر الإعلام أو اتسقت مع تبنيهم لمفاهيم وقناعات مغلوطة إذ يشهد الواقع المرئي وأحداث التاريخ أن العنف كان ولا زال سلوكا لكل الاتجاهات السياسية بل كان العنف السني – إن جاز التعبير - وبلا أدنى مبالغة أو تبرير الأكثر منطقية بين كل أشكال العنف السياسي والديني ذلك أنه جاء في سياق الدفاع عن الذات - وفق تصور أصحابه - أو كرد فعل كما أشرنا آنفا، فضلا عن أن هؤلاء غضوا الطرف عن الكثير من الشواهد التاريخية التي تكشف بجلاء أن الحقب التاريخية ازدحمت بالكثير من الحركات السياسية والفكرية –غير السنية - التي اتخذت العنف مسلكا لبسط رؤيتها.

لعلنا في مقال سابق وعلى صفحات الراصد استفضنا في الحديث عن العنف لدى التنظيمات الشيوعية التي كانت في مقدمة التنظيمات التي أدخلت العنف السياسي في العالمين العربي والإسلامي عبر التنظيمات السرية التي استهدفت شخصيات سياسية بالقتل والاغتيال وبعض المنشآت بالتخريب والتدمير معتبرة أن ذلك جزء من النضال الثوري لتحقيق ديكتاتورية البروليتاريا بل ووصل الأمر في بعض الأحيان إلى وجود حركات انفصالية استهدفت وحدة بعض البلدان ومع ذلك لا نسمع إلا نادرا عن العنف لدى الحركات اليسارية في حين يروج لهذه الحركات باعتبارها ثورية مناضلة.

العنف الشيعي

غير أننا في هذا المقال نحاول أن نسلط الضوء على العنف الشيعي الذي تعاظم دوره في الفترة الأخيرة في العديد من البلدان العربية خاصة بعد الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ والذي يعلم الجميع أنه جاء بمساعدة إيرانية أكدتها تصريحات العديد من الساسة الإيرانيين.

وعلى الرغم من أن العنف الشيعي في العراق مثلا لم يعد خافيا على أي مراقب أو متابع إلا أن تهمة الإرهاب ظلت لصيقة بالجماعات السنية دون غيرها من الجماعات الشيعية الطائفية التي كان أقصى ما تعرضت له هو اتهام بعضها بالطائفية والتي يبدو أنها كانت محاولة للفكاك من تهمة الإرهاب على اعتبار أن ما يحدث في العراق هو صراع عام وشامل بين السنة والشيعة وأن ما يصدر من الشيعة ليس إلا ردة فعل على الإرهاب السني فضلا عن أنه محاولة للثأر لتلك المظلومية التي عاناها شيعة العراق زمن صدام حسين.

في دراسته «خريطة الشيعة في العالم» أشار الباحث الأستاذ أمير سعيد إلى أن عدد الذين قتلهم الشيعة بعد ست سنوات فقط من الغزو الأمريكي للعراق وصل إلى ٦٥٠ ألفا، مضيفا أن هذا العدد أكبر بكثير ممن قتلهم اليهود من المسلمين خلال ستين عاما من عمر النكبة حتى الآن.

وبغض النظر عن مدى صحة هذه الأرقام التي يفترض أن تكون – إذا ما سلمنا جدلا بصحتها - قد زادت بعد مرور أكثر من ١٢ عاما على الغزو الأمريكي إلا أن ما يهمنا بالأساس هو أن الإرهاب الشيعي لم يأخذ حيزا يستحقه من الاهتمام أو تسليط الضوء عليه كما لم ينل حظا من الإدانة والشجب من المجتمع الدولي الذي لم يفتأ يهاجم التنظيمات والجماعات السنية بحق وبغير حق حتى أنه طال تلك التنظيمات التي اتخذت المقاومة مسلكا لمقاومة الاحتلال الأمريكي للعراق أو فصائل المقاومة الفلسطينية وهو المسلك الذي استندت في شرعيته التنظيمات السنية على التعاليم الإسلامية والقانون الدولي.

ولعل أهم مظاهر ما ذهبنا إليه أن الوعي الجمعي لدى المسلمين وغير المسلمين يستحضر على الفور في حال تم ذكر الإرهاب إلى الجماعات

السنية دون ذكر أو إشارة إلى الإرهاب الشيعي الذي لو قارنا عدد ضحاياه بغيره لوجدنا بونا شاسعا يكشف عن مدى قسوة وشدة هذا الإرهاب.

ولا ينحصر الإرهاب الشيعي في العراق فحسب بل يمتد إلى الكثير من البلدان التي شهدت صورا منه ومن بينها المملكة العربية السعودية ومملكة البحرين وسوريا واليمن التي وقعت الآن فريسة أمام الإرهاب الشيعي وسط صمت مستغرب من قبل القوى العربية والإقليمية، لكننا على أي حال سنركز في إشارتنا على الإرهاب الشيعي في العراق.

استهداف السنة

من الثابت أن السنة فقط هم من وقفوا في وجه الاحتلال الأمريكي فكانوا بالنسبة للقوات الأمريكية صداعا مزمنا اضطرهم في النهاية إلى الانسحاب بعدما أوكلوا أمر إدارة الدولة إلى مجموعة من الشيعة الذين رحبوا ترحيبا شديدا بدخول الأمريكيين إلا من قلة منهم انحازت إلى مقاومة الأمريكيين غير أنه سرعان ما تم احتواؤهم وإدماجهم في مؤسسات الدولة العراقية الجديدة، ومع ذلك أسس الشيعة العشرات من التنظيمات والفصائل العسكرية التي أحصاها البعض بخمسين تنظيما فيما قال آخرون بأنها نحو ٣٢ تنظيما وأغلبها يستهدف بالأساس السنة في كل الأراضي العراقية إذ وكما أشرنا لم يكن ثمة ما يدعوها للاحتراب مع القوات الغازية خاصة وأن المرجع الشيعي الأعلى في العراق علي السيستاني أبدى تفاهما معلنا مع القوات الأمريكية ولم يصدر ولو فتوى واحدة تحث الشيعة على محاربة الأمريكيين باعتبارهم احتلالا.

وكان من أبرز الميليشيات الشيعية المسلحة في العراق:

١- فيلق بدر، الذي وعلى الرغم من أنه تأسس في طهران عام ١٩٨١ من قبل المجلس الأعلى الإسلامي العراقي الذي كان يسمى في ذلك الوقت «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية» إلا أنه تورط في قتل العديد من قادة الجيش العراقي السابق ولا سيما ضباط القوات الجوية والطيارين.

٢- جيش المهدي، وهو الجناح المسلح للتيار الصدري وقد تأسس في سبتمبر ٢٠٠٣ وقد تورط باعتراف مقتدى الصدر في قتل العديد من العراقيين السنة.

٣- عصائب أهل الحق، وقد تشكلت بشكل رسمي بعد انشقاق القيادي في التيار الصدري قيس الخزعلي ولحق به آلاف المقاتلين في عام ٢٠٠٧ وعملت تحت رعاية قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني الجنرال قاسم سليماني.

ويُعرف عنها أنها من أشد الفصائل الشيعية تشددا وكانت ضالعة بصورة واسعة في أعمال العنف ضد السنة بين عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٧.

٤- جيش المختار، وهو يتبع لحزب الله فرع العراق ويتزعمه القيادي الديني واثق البطاط الذي يقول إن تنظيمه امتداد لحزب الله اللبناني ويرفع مثله رايات صفراء لكن بشعارات مختلفة.

ويدعو الحزب منذ تأسيسه في مطلع يونيو ٢٠١٠ لقتل أعضاء حزب البعث المحظور ومن يصفهم بـ «النواصب والوهابيين» فيما يجاهر البطاط بالولاء المطلق للمرشد الإيراني علي خامنئي ويقول إنه سيقاتل إلى جانب إيران إذا ما دخلت في حرب مع العراق على اعتبار أن خامنئي «معصوم من الخطأ».

٥- لواء أبي الفضل العباس، وهو فصيل مسلح حديث التأسيس أُعلن عنه من قبل المرجع الشيعي العراقي قاسم الطائي إبان اندلاع الثورة السورية ضد نظام بشار الأسد في ٢٠١١ لمساعدة قوات النظام السوري.

ويضم الفصيل الذي يقوده الشيخ علاء الكعبي مقاتلين عراقيين ينتمي أغلبهم إلى عصائب أهل الحق وحزب الله العراقي والتيار الصدري.

ويعتبر اللواء من أوائل الفصائل الشيعية التي تدخلت عسكريا في سوريا ووقفت إلى جانب النظام السوري منذ العام ٢٠١٢ بدافع عقائدي.

تلك فقط بعض النماذج من بين عشرات النماذج الأخرى لعشرات التنظيمات الشيعية المسلحة التي تحتاج إلى اهتمام الباحثين لدراستها وكشف مستورها وأن سلوكها العنيف لا يعبر عن حالة سياسية طارئة وإنما هي تعبير عن الفكر الشيعي الذي يمتلئ تراثه القديم وأدبياته الحديثة بالكثير من النصوص التي تَعتبر أهل السنة «نواصب» وكفارا، ومن ثم تستحل دماءهم وأموالهم.

ومن ذلك مثلا ما قاله نعمة الله الجزائري في حكم النواصب «أهل السنة»: «إنهم كفار أنجاس بإجماع علماء الشيعة الإمامية وإنهم شرٌّ من اليهود والنصارى وإن من علامات الناصبي تقديم غير علي عليه في الإمامة» الأنوار النعمانية/ ٢٠٦، ٢٠٧.

وعن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في قتل الناصب؟ فقال: «حلال الدم ولكني أتقي عليك فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد عليك فافعل» وسائل الشيعة ١٨/٤٦٣، بحار الأنوار ٢٧/ ٢٣١.

وعلق الإمام الخميني على هذا بقوله: «فإن استطعت أن تأخذ ماله فخذه وابعث إلينا بالخمس».

ومن ذلك أيضا ما رواه القوم عن الصادق أنه قال: إن أول ما يُسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله جل جلاله عن الصلوات المفروضات وعن الزكاة المفروضة وعن الصيام المفروض وعن الحج المفروض وعن ولايتنا أهل البيت، فإن أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجه وإن لم يقر بولايتنا بين يديه جل جلاله لم يقبل الله منه شيئا من أعماله.

وعنه أيضا أنه قال: نزل جبرائيل على النبي فقال: يا محمد السلام يقرئك السلام ويقول: خلقت السموات السبع وما فيهن والأرضين السبع ومن عليهن وما خلقت موضعا أعظم من الركن والمقام ولو أن عبدا دعاني هناك منذ خلقت السموات والأرضين ثم لقيني جاحدا لولاية علي لأكببته في سقر.

وفي رواية: لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال ولم يجئ بولاية علي بن أبي طالب لأكبه الله في النار، وفي رواية عن زين العابدين: أن أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أن رجلا عُمِّر ما عُمِّرَ نوح في قومة ألف سنة إلا خمسين عاما يصوم النهار ويقوم في ذلك الموضع ثم لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئا.

وعن جده علي بن أبي طالب قال: لو أن عبدا عبَد الله ألف سنة لا يقبل الله منه حتى يعرف ولايتنا أهل البيت ولو أن عبدا عبد الله ألف سنة وجاء بعمل اثنين وسبعين نبيا ما يقبل الله منه حتى يعرف ولايتنا أهل البيت وإلا أكبه الله على منخريه في نار جهنم. وفي رواية: والله لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله منه إلا بولايتنا. وفي أخرى: أما والله لو أن رجلا قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية وليي ما كان له على الله حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان.

ونسبوا إلى رسول الله ﷺ قوله: التاركون ولاية علي خارجون عن الإسلام.

لماذا السنة؟

وأخيرا يَطرح سؤال مهم نفسه .. ما هي الأسباب وراء وصف التنظيمات السنية بالإرهاب دون الشيعة؟ والحقيقة أن هذا يعود لعدة أسباب رئيسية منها:

١- أن الآلة الإعلامية العالمية تركز على تشويه صورة الإسلام السني كونه هو من يقف بالمرصاد أمام الإمبريالية والرأسمالية الغربية.

٢- أن للتنظيمات الشيعية مرجعية واحدة وبدا أنهم لا ينتقدون بعضهم البعض ولا يرمون بعضهم البعض بصفة الإرهاب في حين ليس للسنة مرجعية واحدة ولا يفتؤون يلومون بعضهم البعض إلى حد التنازع والصراع.

٣- تحظى التنظيمات الشيعية المسلحة بدعم الدول المحكومة من قبل الشيعة كالعراق وإيران وسوريا واليمن في حين لا تحظى التنظيمات السنية بما فيها التي لا تتورط في عمليات إرهابية وتتبنى

المقاومة بأي ظهير سياسي يدافع عنها.

٤- التحالف الوثيق بل والتنسيق المتبادل بين الدولة الإيرانية الشيعية وبين القوى الدولية في العديد من الملفات المشتركة وهو التحالف الذي تمكن مؤخرا من رفع قوات الحرس الثوري الإيراني وحزب الله من قوائم الإرهاب .. كما أنه ربما يكون التفسير المنطقي للكثير من التساؤلات المهمة والتي منها .. لماذا لا يضيف الغرب الجماعات الشيعية إلى لائحة الإرهاب؟ ولماذا تقصف الطائرات الأمريكية أنصار الشريعة في اليمن ولا تقصف قوات الحوثيين رغم كل الانتهاكات التي ارتكبوها؟ ولماذا كانت تصر فرنسا على عدم إدراج حزب الله ضمن قوائم الجماعات الإرهابية؟ ولماذا لا يَسمح الغرب بإقامة أية نموذج للحكم السني سواء في الصومال أو أفغانستان أو مالي مثلا؟

٥- التنظيمات السنية تقتتل فيما بينها وهو ما لا نجده إلا نادرا لدى التنظيمات الشيعية التي تضيق لديها المساحات الخلافية فضلا عن أن الدول الراعية لها لا تسمح بأن يصل الخلاف إلى حد الاقتتال.

٦- تسارع التنظيمات السنية ومن باب الدعاية لنفسها إلى الإعلان عن عملياتها فيما تحرص التنظيمات الشيعية العسكرية على السرية انطلاقا من مبدأ التقية.

٧- لا يتجاوز الخلاف بين التنظيمات الشيعية والغرب حدود الكلام اللفظي فيما تجازف بعض التنظيمات السنية بشن هجمات مسلحة سواء داخل البلدان الغربية أو تستهدف مصالحها.

٨- لا تعلن التنظيمات الشيعة عن هدف تأسيس دولة خلافة أو دولة شيعية إسلامية بداع وبلا داع فيما تصر التنظيمات السنية على أن تؤكد أن هدفها الرئيس هو إقامة الخلافة وتأسيس الدولة الإسلامية الكبيرة وهو ما يسبب حالة من الفزع لدى الغرب وللقوى المناوئة لفكرة الخلافة.

٩- تحرص التنظيمات الشيعية على أن تبدو وكأنها تدافع عن المظلومين والمحرومين والمقهورين وحقوق الأقليات فضلا عن المقاومة ضد الطغيان وحماية الأماكن المقدسة.

١٠- تحرص التنظيمات الشيعية على أن تتودد إلى أصحاب المذهب الشيعي بإقناعهم بأنهم إنما يدافعون عن مصالحهم فيما تتورط العديد من التنظيمات السنية وبكل أسف في الاقتتال مع من يفترض أنها تدافع عنهم.

بين انتهاك الجسد وانهيار المجتمعات
قراءة إسلامية لظاهرة التحرش

فاطمة عبد الرءوف(*)– خاص بالراصد

تعتبر الغريزة الجنسية من أهم الغرائز البشرية التي فُطر عليها الإنسان ووضعها الفلاسفة كواحدة من أهم الحاجات الأساسية للإنسان واعتبرها علماء النفس من أهم محركات السلوك البشري في حال صحة الإنسان النفسية أو مرضها.

وهي غريزة لا تعمل في فراغ بل تتحرك في سياق مركب من المشاعر والعواطف والاتجاهات النفسية ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

فالسكن النفسي والعاطفي مع الزوج حاجة أساسية ملازمة للإنسان، والعلاقة بين هذا السكن النفسي والعاطفي وبين إشباع الغريزة الجنسية هي علاقة عضوية، وبهذا فقط يكون

(*) كاتبة مصرية.

الإنسان في حالة من الصحة النفسية، وعندما يحدث خلل في هذه المنظومة في أحد ركائزها الثلاث (النفسية - العاطفية - الجنسية) تحدث مشكلات لا حصر لها، ولو تحدثنا عن قضيتنا «التحرش الجنسي» سنجد أن المرض النفسي يعد سببا رئيسيا لهذا السلوك المشين فالرجل السادي يستمتع بإيذاء ضحيته والماسوشي أو الماسوشية تصمت على الأذى وتقبل بالامتهان والرجل المولع بكشف جسده وعورته أمام النساء والتحرش بهن بهذه الطريقة هو أيضا يعاني من الخلل النفسي.

يلعب الحرمان العاطفي الشديد هو الآخر دورا بالغ الأهمية في هذه المنظومة، فالحرمان العاطفي والبحث عن الحنان هو المتهم الأول في قبول الأطفال بالتحرش حيث غالبا ما يكون المتحرش في دائرة قريبة من الطفل ويُظهر له الحب والحنان المحروم منهما ومن ثم يصمت الطفل على هذه التحرشات مقابل وجود ملاذ عاطفي له ومن ثم وفي مرحلة لاحقة يتحول لشخص شاذ يمارس التحرش بآخرين ويفقد القدرة الطبيعية على إقامة علاقة عاطفية طبيعية أو علاقة زوجية طبيعية، وهكذا تستمر هذه الدائرة.

الإسلام بشموليته وأحكامه ودعوته يريد للإنسان أن يتحرر من ضغط هذه الحاجات ويؤمّن له المناخ المناسب للعيش بطريقة صحية بل ويقدم له مفتاح الحل في حال وجود خلل ما أو مأزق ما يعايشه.

فتربية الطفل تربية إسلامية صحيحة تؤمن له الحفاظ على صحته النفسية نقية ويكفي في ذلك أن نذكر آداب الاستئذان والحفاظ على العورات والفصل بين الأطفال في الفراش وتربية الضمير الخلقي من خلال تعلم الصلاة. كل ذلك يؤدي لتجفيف منابع الخلل النفسي والرحمة بالطفل وهو الطريق لإشباع حاجته للحب ومن ثم ينشأ إنسانا سليما نفسيا مستقرا عاطفيا يسعى للزواج مبكرا حتى يشبع غريزته قبل أن يؤدي به الحرمان للسقوط في براثن الرذيلة والانحراف.

ظاهرة قديمة ولكن

ربما يكون مصطلح التحرش مصطلحا حديثا نسبيا، أما فعل التحرش نفسه فهو قديم قدم التجمعات البشرية فهو ليس ابتلاء حديثا ابتليت به بلادنا نتيجة تغير نمط الحياة من زحام وفقر وتأخر سن الزواج وخروج المرأة للعمل والتبرج المبالغ فيه.

فعلى عهد النبي صلى عليه وسلم، وفي المدينة المنورة، حدثت هذه الجريمة النكراء فلقد كانت بيوت المسلمين والعرب في ذلك الزمان لا يوجد بها مكان لقضاء الحاجة وكانت العرب تأنف من اتخاذ الكنف داخل البيوت استقذارًا، ففي الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا»، وفي رواية عند أبي يعلى: «وكنا قومًا عربًا لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي يتخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها»؛ وكانوا يقضون حاجتهم في الخلاء البعيد عن البيوت، وكانت النساء تنتظر قدوم الليل ليخرجن للخلاء وكانت طرقات المدينة ضيقة فيجلس بعض الفساق في هذه الطرقات الضيقة المظلمة ويؤذون النساء تارة بالقول وتارة بالتحرش بهن، فنزلت آيات تحث المؤمنات على إدناء الجلباب، قال تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وجاء في تفسير هذه الآية: (قدم النبي ﷺ المدينة على غير منزل، فكان نساء النبي ﷺ وغيرهن إذا كان الليل خرجن يقضين حوائجهن. وكان رجال يجلسون على

الطريق للغزل. فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾ يقنعن بالجلباب حتى تعرف الأمة من الحرة).

وفي تفسير آخر: (كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة، يتعرضون للنساء، وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة، فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن، فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن، فإذا رأوا امرأة عليها جلباب، قالوا: هذه حرة، كفوا عنها. وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب، قالوا: هذه أمة، فوثبوا إليها).

نقلنا هنا تفسيرين يكاد يتطابق الشرح فيهما عدا أن الرواية الأولى تقول إن الرجال يجلسون للغزل أما الرواية الثانية فتتحدث عن فساق يتحرشون (وثبوا إليها).

لذلك هددهم الله عز وجل في الآيات التالية: (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ❖ ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) [الأحزاب: ٦٠- ٦١]، فالمرض الذي في القلوب هو شهوة الزنا وحب الفجور كما قال المفسرون.

أسباب تفشي الظاهرة

في السطور السابقة ذكرنا صورة من التحرش وجدت في العهد النبوي ولكن هذا المشهد لم يكن يمثل ظاهرة تهدد أمن المجتمع وحتى قبل الإسلام لم يكن يشكو المجتمع من ظاهرة يطلق عليها التحرش فلقد كان قانون البيئة العربية، هو قول عنترة:

وأغضّ طرفي ما بدت لي جارتي

حتى يواري جارتي مأواها

أما في بلد مثل مصر الآن حيث تشير الإحصاءات إلى أن ٥٠٪ من النساء فيه تعرضن للتحرش بصورة ما على مدار حياتهن فالأمر كارثي بحق.

ومن أسباب انتشار التحرش:

- ضعف الوازع الديني الذي يمنع صاحبه من مجرد النظرة الفاحشة.
- ارتفاع سن الزواج نتيجة لأسباب كثيرة يأتي على رأسها الفقر والتطلع لنماذج حياتية أعلى فلا بد من شقة ذات مواصفات خاصة والأفضل أن تكون تمليكا وأثاث متنوع وأجهزة كهربائية كمالية وحفل زفاف يكلف الآلاف ناهيك عن الشبكة والهدايا وخلافه.
- أغاني الفيديو كليب التي تعمل عملا مزدوجا فهي من ناحية تقدم نموذجا للجمال يجعل الكثير من الشباب يحجم عن الزواج سعيا خلف هذا النموذج، وتجعل الفتيات يتشبهن بهؤلاء الراقصات في اللباس والمشي ونحوه ظنا منهم أن هذا قد يأتي لها بالعريس المناسب، وهذان العاملان يعملان بمثابة الوقود للتحرش لشباب لم يتزوجوا وفتيات شبه عاريات في الطريق.
- من ملامح العصر الحديث خروج النساء بأعداد كبيرة من أجل التعليم والعمل ومن ثم وفي بعض المدن الكبيرة كالقاهرة ومع الازدحام الشديد خاصة في وسائل المواصلات وعلى الرغم من وجود بعض عربات مخصصة للنساء في مترو القاهرة إلا أن هناك الكثيرات لا يستخدمن المترو ويستخدمن وسائل نقل أخرى، وهناك تحدث أكبر نسبة من جرائم التحرش، والمبرر موجود وهو الازدحام الشديد الخانق والضاغط بطريقة مذهلة خاصة في ساعات الذروة ومن ثم لا يخشى المتحرش افتضاح أمره.
- التبرج والعري وهذا السبب بالغ الأهمية خاصة في وقوع التحرش على قارعة الطريق فإبراز الأنثى لمفاتنها يحمل رسالة ضمنية بالرغبة في نيل الإعجاب على أقل تقدير وهي رسالة تصل للشباب

بأن من تقف أمامك بهذا الزي الخليع لابد أن تكون فتاة خليعة وإلا كيف تكشف عن جسدها بهذه الطريقة الفاضحة سواء بكشف الجسد نفسه أو ارتداء ملابس ضيقة جدا تكشفه أو بوضع إكسسوارات خاصة لإبراز مناطق معينة ومثيرة.

- الأمراض النفسية تلعب دورا خطيرا في جريمة التحرش فكل الأسباب السابقة تؤدي لأمراض نفسية يلعب فيها التحرش دورا كبيرا فتجد رجلا متزوجا وعلى قدر من الثراء ووسيما وليس لديه مبرر للتحرش يركب الحافلات العامة حتى يتحرش بالسيدات.

حجاب ولكن

هناك حملة شرسة تقودها النسويات مفادها أن جسد المرأة ملك لها وحدها ومن حقها ارتداء ما تشاء وليس من حق الرجال النظر إليها بريبة ولا عذر لمتحرش بامرأة حتى لو كانت تسير عارية في الشارع ويضربون دائما المثل بأن هناك تحرشا بالمحجبات بل والمنتقبات وأن الحادث المأساوي للتحرش الجماعي الذي حدث في وسط العاصمة المصرية في عيد الأضحى أوائل العام ٢٠٠٦ تم التحرش فيه بفتاة منتقبة ترتدي العباءة السوداء، والأمر فيه مغالطة كبيرة فالفتيات اللاتي يطلق عليهن محجبات لأنهن يرتدين غطاء على الرأس هن متبرجات من وجهة نظر إسلامية، فعندما ترتدي فتاة ما بنطالا ضيقا للغاية وقطعة علوية لا تقل عنه سوءا بل تزيد، وتضع عطرا مثيرا وتضع مساحيق على وجهها ثم تضع فوق رأسها غطاءً ملونا بألوان الطيف فهل هذه هي محجبة؟

لقد كانت النساء في الجاهلية يرتدين ثيابا طويلة وواسعة فضفاضة ويغطين رؤوسهن ولكنهن كن يلقين بالخمار للخلف فلا يواري عنقها وفتحة ثوبها ويبدو صدرها لا يواريه شيء وربما وضعت نطاقا في خصرها أو أبرزت قرطها من أسفل الخمار أو ارتدت خلخالا في قدمها لا يظهر وإنما يسمع صوت رنينه، أما أن تخرج بهذه الصورة المزرية التي يطلق عليها الحجاب العصري فهو أمر لم يحدث على الإطلاق حتى في الجاهلية! والأمر نفسه يطال منتقبات يرتدين العباءة وقد فتحت أزرارها وبدا البنطلون الضيق من أسفلها في صورة أشد إثارة خاصة مع تلك العينين اللتين تتفنن بعضهن في تجميلهما وحواجبهما التي تم نمصها وإعادة تشكيلها.

متحرشون ومتحرش بهم

على أن التبرج والزحام والفقر ليست أسباب التحرش فقط، وإلا لماذا يَتحرش الأطفال؟ فلقد كنت شاهدة عيان على حادثة من هذا النوع حيث رأيت طفلين لم يبلغا العاشرة من العمر يسيران خلف شابة متبرجة في اوائل العشرينيات من عمرها ويتلفظان بألفاظ بذيئة ويحاولان الاقتراب منها وهي تصرخ في وجوههم وهم مصران على التحرش بها وعندما اقتربتُ منهما شعرا أن الأمر سيخرج من أيديهم ففروا هاربين. المؤسف في الأمر أن هناك عددا آخر من الأطفال في نفس العمر كانوا واقفين على الجهة الأخرى من الطريق يضحكون ويشيرون إشارات تأييد لما يحدث.

هذه الواقعة كانت في الشارع أمام صالون تجميل حيث كانت هناك عروس بالداخل، ومن المعلوم كيف تبدو الأفراح المختلطة من تبرج العروس وكثير من المدعوات وحيث الموسيقى الصاخبة والرقص الذي لا يتوقف وكلمات الأغاني التي تحمل معاني الإثارة، هؤلاء الأطفال الذين رأيتهم بأم عيني لم يصلوا لمرحلة البلوغ وبالتالي فليس لديهم دافع جنسي يحركهم، فما الذي دفعهم للتحرش؟

إنها البيئة وتأثيرها الذي يعمل بصورة أقوى من الجينات والهرمونات، تلفاز تنقل شاشاته مشاهد عري ومجون ورقص بل إن هناك أفلاما أصبحت موجهة للأطفال والمراهقين تحديدا تثير فيهم الدافع الجنسي كفيلم «حلاوة روح» والأطفال عشاق التقليد فكما يقلدون تدخين سيجارة يقلدون أسلوب التحرش الذي يروه فما بالنا إذا ما أصبح هؤلاء مراهقين لديهم غريزة حقيقية؟!

على أن المشكلة الحقيقية تكمن في تحرش البالغين بالأطفال فنظرة فاحصة للاستشارات النفسية على المواقع الالكترونية حيث يستطيع طالب الاستشارة أن يفضفض دون كشف أمره نجد أن الشواذ أو المثليين الذين يطلبون علاجا لدائهم يكادون أن يجمعوا على أن سبب هذا الشذوذ الذي اعتراهم هو تعرضهم للتحرش أو الاغتصاب في الطفولة من قبل بالغ أو مراهق فانتكست فطرتهم وأصبحوا غير قادرين على ممارسة حياة جنسية طبيعية سوية.

الحل الإسلامي

يمكننا الحديث عن الحل الإسلامي على مستويين: الأول هو الوقاية ومنع التحرش من المنبع؛ والمستوى الثاني هو علاج المشكلات القائمة بالفعل.

فمنهج الإسلام في الوقاية هو منهج متكامل ركيزته الأساسية الخوف من الله عز وجل والسعي لمرضاته ووجود ضمير يقظ وحساس يخشى الله، لا أعين الناس. وعندما يتكون هذا الضمير سوف ينقاد بيسر وسهولة للأحكام ولن يجد أي صعوبة في تطبيقها، ومن هذه الأحكام:

ـ غض البصر، فإطلاق البصر مصدر كل شر وبلاء ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

والخطاب ذاته موجه للنساء ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

- التزام النساء بارتداء الحجاب الشرعي وعدم إبداء الزينة إلا لزوج أو ذي محرم ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

فعندما تحرص المرأة على إخفاء مفاتنها فهي تجبر الرجل على احترامها من ناحية، ولا تثير فيه الغريزة التي ركبها الله فيه بحيث تجعل غضه لبصره أسهل وأيسر ومن ثم تشيع ثقافة العفاف في المجتمع.

- تيسير أمر الزواج في المجتمع عن طريق تقليل النفقات فيستطيع الفقير أن يعف نفسه بدلا من حالة الاحتقان الذي يعيشها والتي تضغط عليه حتى يجد متنفسا لها في الحرام.

- ترشيد الاختلاط فإذا كان خروج المرأة المعاصرة للتعليم والعمل قد أصبح شائعا للغاية وربما يكون ضرورة عصرية، إلا أن هذا لا يجب أن يستتبعه الاختلاط الذي نراه الآن، فقديما خرجت ابنتا شعيب عليه السلام للعمل (سقي الأغنام) ولكنهما لم يختلطا بالرعاة الآخرين وتحدثا مع موسى عليه السلام بقدر الحاجة ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣].

أما على مستوى الواقع الفعلي فهناك الكثير مما يمكن فعله لمنع التحرش بالاستناد للمبادىء السابقة فتستطيع الجمعيات الإسلامية شن حملات منظمة للتوعية بقضية التحرش وخطورتها الكارثية فتنظم حملة مثلا بعنوان «هل ترضاه لأختك» هذه الحملات مستمدة من تعاليم الدين ومنهجية النبي ﷺ في توصيل هذه التعاليم، فروى الإمام أحمد في مسنده (أن فتى شابا أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا!، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: ادنه، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟، قال: لا واللّه، جعلني اللّه فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟، قال: لا واللّه، يا رسول اللّه جعلني اللّه فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا واللّه، جعلني اللّه فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمّتك؟ قال: لا واللّه، جعلني اللّه فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال أفتحبه لخالتك؟ قال: لا واللّه جعلني اللّه فداك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال: فوضع يده عليه وقال: اللّهمّ اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحَصِّنْ فرْجَه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء).

وقد تكون هناك حملة أخرى بعنوان «حجابك يحميك من التحرش»، موجهة للنساء خاصة أن دعوة النسويات أن اللباس حق شخصي وأن الحجاب لا يحمي من التحرش لاقت قبولا واسعا في الأوساط النسائية.

- البعض قام بتكوين رابطة بعنوان «شُفت تحرش»، لمساعدة النساء ونجدتهن ومحاولة الحد من الظاهرة، والأولى بالإسلاميين تفعيل مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه القضية تحديدا ولو بطريقة فردية بإمساك المتحرش وتسليمه للشرطة، أو توفير مكان لجلوس الفتاة أو السيدة في الأماكن المزدحمة مع الابتعاد طبعا عن نصح الرجال للفتيات في هذه القضية الحساسة ويترك الأمر للنساء وفقا لمبدأ الحكمة بالأمر بالمعروف.

- ابتعاد النساء عن الأماكن المزدحمة مظنة التحرش فتحرص الفتاة على الركوب في عربة السيدات في المترو حتى لو كانت مزدحمة بالسيدات، وتسير على قدميها لو كانت المسافة محتملة، بعض الفتيات كن يركبن السيارات العامة وهي في طريقها للمحطة النهائية ثم العودة معها حتى يتاح لهن فرصة الجلوس بعيدا عن الزحام حتى لو أخذ ذلك وقتا أطول، والأمر مفتوح لمزيد من الأفكار كالدعوة لتخصيص عدد من المقاعد في أي سيارة عامة للنساء بحيث لا تقل هذه المقاعد عن الثلث مثلا.

- عدم الصمت في مواجهة المتحرش حتى لا تعتبر موافقة ضمنية وإن لزم الأمر النزول من وسيلة المواصلات.

- تعليم الأطفال الصغار ألا يسمحوا لأحد بالاقتراب منهم أو لمس جسدهم وفي حالة حدوث ذلك يصرخون أو يتراجعون خطوات للخلف ويجرون وعدم الحياء من ذلك لأنه أمر وارد الحدوث، وما لم نأخذ خطوة استباقية قد يقع الأمر ولا يستطيع الطفل أو الطفلة الدفاع عن نفسيهما.

كتب عن الحوثيين

عرض: أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

لكون الحوثيين الإرهابيين في اليمن هم حديث الساعة أصبح من اللازم التعريف ببعض الدراسات عنهم، وإذا كانت بعض الدراسات قد لقيت نوعا من الدعاية بسبب أنها طبعت ونشرت خارج اليمن، فإن هناك عددا آخر من الدراسات نشر في داخل اليمن، وللأسف لم يتح لها الانتشار والوصول ليد الباحثين، برغم أن لها فضل السبق في الصدور، ولها فضل التأسيس لما بعدها من دراسات، وبفضل الله وصلتني بعض هذه الدراسات القيمة، وهذا عرض سريع لثلاث منها:

(١)
التشيع في صعدة

يتكون هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء وقد صدرت منه طبعتان في اليمن، الأولى سنة ٢٠٠٦، والثانية في ٢٠٠٧ من دون اسم لدار نشر، ويبدو أنه نشر باسم مستعار وهو عبد الرحمن المجاهد، وميزة هذا الكتاب أنه يمثل دراسة ميدانية مبكّرة لواقع الحوثيين من حيث الفكر والأيدلوجيا والانتشار والتنظيم.

فالجزء الأول يحمل عنوان «دراسة ميدانية»: حيث قام المؤلف بزيارة لمحافظة صعدة في ٢٠٠٥/٨/١٧، ولمدة ٢٤ يوما وتجول بين مديريات صعدة لرصد واقع وانتشار الحوثيين/الشيعة فيها، من خلال تعبئة استبيان خاص لذلك لكل مديرية وتوثيق ذلك بالصور والوثائق.

جاء الكتاب في ٢٥٠ صفحة ويتكون من فصلين، الأول استعرض تاريخ وجغرافية صعدة وتقسيمها الإداري، وتضمن هذا الفصل رصد المناسبات الشيعية فيها، والكتب الشيعية التي تدرس فيها، والنشاطات الاجتماعية التي يقوم بها

(*) كاتب أردني.

الحوثيون، ومنابرهم الإعلامية والسياسية.

وقد كشفت الدراسة أن مواردهم المالية تأتي من دعم الرئيس السابق علي صالح لهم ثم من إيران وشيعة الخليج وتجار السلاح والعملة في اليمن، وقد وثقت الدراسة دعم علي صالح لهم بصور وثائق ومستندات رسمية.

ومن أهم المعلومات التي رصدت في طريقة عمل الحوثيين/الشيعة منذ عام ٢٠٠٥، تغلغل الحوثيين/ الشيعة في كافة مرافق السلطة والمعارضة، فلهم أتباع في كل أجهزة الدولة، ولهم أعضاء في كافة الأحزاب، الحزب الحاكم وأحزاب المعارضة على السواء، وهذا ما يفسر اليوم تعاون كثير من الساسة وموظفي الدولة وضباط العسكر والأمن وممثلي عدد من الأحزاب المختلفة مع الحوثيين في احتلالهم لليمن.

كما لوحظ أن الحوثيين/ الشيعة لهم عناية خاصة بالتعليم ونشر التشيع من خلاله، وهو ما ظهر علانية اليوم بعد عقد من الزمان.

وفي الفصل الثاني استعرض واقع الحوثيين/ الشيعة في مديريات صعدة الـ ١٤، حيث تم رصد أعداد الحوثيين في كل حارة من حارات مديريات صعدة، والشخصيات القيادية منهم أو الشخصيات العامة المساندة لهم، ونشاطاتهم الدينية والتعليمية وعلاقاتهم بالآخرين.

الخلاصة: للأسف برغم توفر هذه الدراسة الميدانية مبكراً عن بداية التمدد الحوثي الشيعي، والتي بالتأكيد قد وصلت للجهات الرسمية في اليمن ودول الجوار والأحزاب والحركات الإسلامية، إلا أنها لم تجد العناية اللازمة وردة الفعل المناسبة ولذلك أصبح الجميع يعاني اليوم من فقدان اليمن لصالح الحوثيين وأوليائهم الإيرانيين، فهل نتعلم من هذا الدرس القاسي للمستقبل وندرك خطورة أي تمدد إيراني شيعي ولو كان صغيراً ومحدوداً؟؟

الجزء الثاني حمل عنوان «أفكار الشباب المؤمن في الميزان»: وتناول حقيقة أفكار «الشباب المؤمن» والذي يعد أول شكل تنظيمي للحوثيين الشيعة من خلال تحليل وفحص فكر ثلاث شخصيات مركزية لهم وهي: بدر الدين الحوثي المرجع الديني للحوثيين، وولده حسين الحوثي القائد الميداني المؤسس للتنظيم الشيعي الحوثي، وعبد الكريم جدبان، وجاء هذا الجزء في ٢٣٢ صفحة.

من خلال مراجعة وفحص ما كتبه بدر الحوثي في كتبه يتضح تبدل أفكاره من الجارودية لتقبل أفكار شيعية وخاصة بعد قيام دولة الوحدة (١٩٩٠) وهزيمة حرب الانفصال (١٩٩٤) ، فظهر كرهه للخلفاء الراشدين وبقية الصحابة وأمهات المؤمنين، وقناعته بأن النبي صلى الله عليه وسلم عيّن عليّا بن أبي طالب خليفةً من بعده، وظهر طعنه في أحاديث البخاري ومسلم، وصار ينصح أتباعه بالتزام التقية، ولزوم الخروج على الحاكم، وظاهر جداً اعتناق بدر الحوثي لأصول عقائد الشيعة الإثني عشرية.

أما ولده حسين فاستعرض مسيرته بداية من كذبة دراسته الجامعية سواء في اليمن أو خارجها، ومن ثم انخراطه في حزب الحق الممثل لعلماء الجارودية الزيدية، ولما لم يتمكن والده من قيادة حزب الحق، أسس في داخله تنظيم الشباب المؤمن، وثم أصبح نائبا في البرلمان في ١٩٩٣، وبعد ثلاث سنوات انسحب حسين الحوثي وقيادة الشباب المؤمن من الحزب والذي ضعف جدا.

في هذه المرحلة بدأ تحالف الحوثيين مع الرئيس علي عبدالله صالح، والانفتاح الواسع على السفارة الإيرانية، والاهتمام بالجانب العسكري.

واستعرض المؤلف أهم أفكار حسين الحوثي

وهي: إعلان النبي صلى الله عليه وسلم عليّا بن أبي طالب خليفته، وأن عمر بن الخطاب هو مصدر كل الشرور في الأمة وأن أبا بكر وعثمان ومعاوية هم سيئات من سيئات عمر! ويلمز في المذهب الزيدي في دلالة على تحوله الشيعي الجديد ويؤكد هذا ثناؤه الدائم والمستمر على إيران وحزب الله وقادتهما.

أما عبد الكريم جدبان، فهو أحد قادة الشيعة وتنظيم الشباب المؤمن، وقد قاد هو ومحمد عزان وحسين الحوثي الصراع مع علماء الزيدية بقيادة مجد الدين المؤيد.

أشاع الجدبان أنه كان على خلاف مع بدر الحوثي وولده حسين، وأنهم أنشؤوا جماعة خاصة باسم جماعة الشعار في عام ٢٠٠٠، وأن الحوثيين لا علاقة لهم بتنظيم الشباب المؤمن، إلا أن هذا لا يثبت، ولكن يبدو كان هناك خلاف في داخل الحوثيين بين تيار حسين الحوثي والسادة الذين يرون أنهم الأحق بالقيادة لنسبهم، وبين تيار القبائل في الحوثيين بقيادة الجدبان الذين يرون أن لهم حقا بالمشاركة في القيادة لدورهم الهام في الحركة الحوثية الشيعية.

وقد ألحق المؤلف عددا من الوثائق والصور المهمة التي تعزز الحقائق التي تم عرضها في الكتاب.

الجزء الثالث كان بعنوان «شبهات وردود»: وهو أصغر الأجزاء ويقع في ١٠٥ صفحات، وقد خصص المؤلف هذا الجزء لرد شبهات الحوثيين الشيعة التي قسمها لشبهات في باب الإيمان وشبهات حول الصحابة.

حيث فند شبهات الشيعة حول إنكار النزول الإلهي، ورؤية الله عز وجل في الآخرة، وإنكار الشفاعة لأهل الكبائر، وعقيدة البداء الشيعية، وتقديم العقل/الهوى على النقل/الوحي.

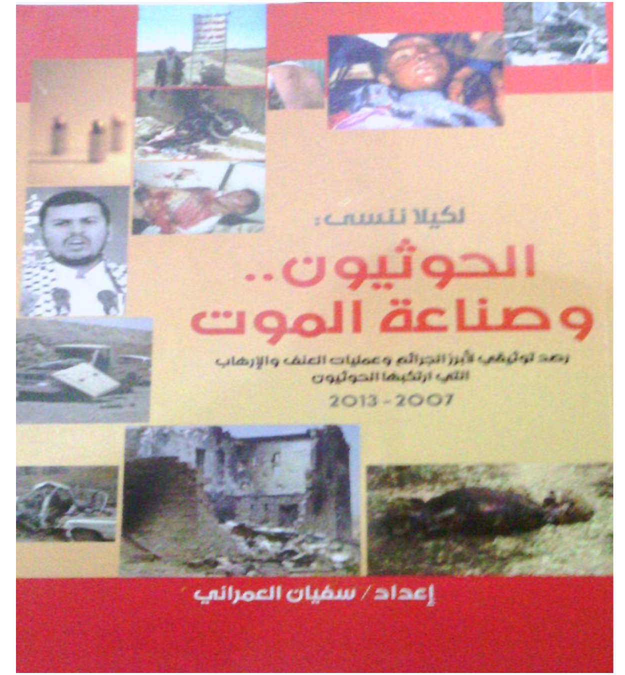
وحول الصحابة رد على أباطيل الحوثيين الشيعة ضد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وظلم الصديق لفاطمة رضي الله عنها، وشبهة ولاية علي، وإثبات عدالة الصحابة.

الخلاصة: شكلت هذه الدراسة الميدانية سبقا مفصلا لحقيقة فكر وحركة الحوثيين لكنها للأسف لم تصل بعد ليد الباحثين والمختصين والعامة خارج اليمن، ويا حبذا لو يتبناها ناشر غير يمني لتنتشر وتنفع.

(٢)

لكي لا ننسى: الحوثيون وصناعة الموت

قام سفيان العمراني بإصدار هذا الكتاب التوثيقي لجرائم الحوثيين بين عامي ٢٠٠٧- ٢٠١٣، في كتاب بلغت عدد صفحاته ٢٥٠، وطبعاً ليس هناك ناشر للكتاب، خوفا من انتقام الحوثيين وإرهابهم.



وتوثيق جرائم الحوثيين أمر في غاية الأهمية لتقديمهم للعدالة، ولكشف الحقيقة عن طائفيتهم

ودمـويتهم، ولكـن للأسـف لم يـصل الكتـاب لخـارج اليمن إلا قليلاً.

واليـوم يجـب علـى المؤلـف وغـيره أن يقومـوا بإكمـال توثيـق جـرائم الحـوثيين بعـد عـام ٢٠١٣ حيـث تزايـدت جـرائمهم مـع احـتلال صـنعاء وعـدد مـن المحافظـات، كمـا يجـب جمـع كـل التقـارير الدوليـة والمحايـدة حـول جـرائم الحـوثيين وفي كـل المراحـل منذ نشأتهم.

الكتـــاب قـــام بتوثيـــق الجــــرائم بحــــسب المحافظـات، حيـث يـستعرض كـل جـرائم الحـوثيين في المحافظـة مقـسمة علـى الـسنوات، وقـد طالـت جـرائم الحـوثيين محافظـات صـعدة وعَمـران وحَجّـة والجوف، وختم كتابه بمأساة دمّاج.

يفتقـد الكتـاب للجـداول الإحـصائية الـتي تلخـص جـرائم الحـوثيين في أرقـام تُـسهل تكـوين صـورة شـاملة عـن مـدى وحـشيتهم ويـسهل نقلـها للجمهـور، لكـن يبقـى الكتـاب فريـدا في بابـه وغطـى جانبا مهما جداً.

(٣)
الحوثيون والثورة الشبابية

هـذا الكتـاب هـو الجـزء الأول مـن سلـسلة بعنـوان «الحوثيـة»، وهـو مـن تـأليف صـادق عبـد الـــرحمن الـــصنعاني، دون ناشـــر، ويقـــع في ١٠٠ صـفحة، ويتكـون مـن ثلاثـة فـصول، وصـدر في سـنة ٢٠١٣.

ينـــاقش الكتـــاب علاقـــة الحـــوثيين بـــالثورة الـشبابية ضـد الـرئيس علـي صـالح، وحقيقـة أهدافهم في اليمن.

في الفــصل الأول اســتعرض المؤلــف علاقــة الحــوثيين بالتيــارات الــسياسية المختلفــة: العهـد الإمـامي، النظـام الـسابق، تيـارات الثـورة الفاعلـة، الحراك الجنوبي.

كانـت علاقـة الحـوثيين بالعهـد الإمـامي علاقـة رغبـة بعودتهـا، وعلاقتهـا بالنظـام الـسابق علاقـة تحـالف وتوظيـف لتحقيـق أمنيتهـا، واتـسمت علاقتهـا بالتيـارات الأخـرى في الثـورة بالعـداء حيـث يـتهم الحوثيـون أحـزاب اللقـاء المـشترك وحـزب الإصـلاح (الإخـوان) واللـواء علـي محـسن بالتبعيـة للخـارج والخيانـة، وعلاقـتهم بـالحراك الجنـوبي علاقـة تقـارب واسـتدراج حيـث بـدأت بعـض قـوى الحراك بمدح إيران والخميني.

الفـصل الثـاني تنـاول مـستجدات الثـورة وتطـرق فيه لعدة قضايا هـي:

❖ انـسحاب الحـوثيين مـن مجلـس قيـادة الثـورة، وأن غرضـهم مـن ذلـك ضـرب الموقـف الـوطني الموحـد الـذي يتنـاقض مـع أطمـاع الحـوثيين في الاسـتفراد في حكم اليمن.

❖ رفـض مخرجـات المبـادرة الخليجيـة، لأنهـا أيـضا تفشل أطماعهم ومخططاتهم.

❖ محاولـة الحـوثيين إفـشال الانتخابـات الرئاسـية الـتي جـاءت بـالرئيس عبـد ربـه منـصور هـادي، حيـث قـاموا بتمزيـق صـوره ومهاجمـة مقـر حـزب الإصـلاح بمحافظـة صـعدة، ولـولا الموقـف الـدولي الحـازم ضـد تعطيـل الانتخابـات لعطلـها الحوثيـون، وكـان هـذا موقفا مبكـرا علـى حقيقـة نوايـا الحـوثيين الـتي تبـدّت مؤخرا في مصادرة اليمن كله لصالح مخططاتهم.

❖ حـاول الحوثيـون إفـشال القيـادة الموحـدة للثـورة بعـدم المـشاركة في مـسيراتها، أو جـر الثـوار للـصدام مـع الجـيش، ومحاولـة حـرف مـسار المـسيرات نحـو دار الرئاسة وافتعال مشاكل فيها.

❖ اعتداءات الحوثيين على منصة الثورة عدة مرات، والمستشفى الميداني، ولجنة نظام الساحة، في دلالة على حقيقة التعاون والوحدة التي يؤمن بها الحوثيون.

❖ محاولة استقطاب بعض الشباب وإغرائهم بالمال.

الفصل الثالث جاء بعنوان الأهداف الخفية لمشاركة الحوثيين في الثورة.

جاءت مشاركة الحوثيين في الثورة للتغطية على مشروعهم العسكري، ولذلك قاموا بتخزين السلاح في صنعاء، وأقاموا معسكرات تدريب عسكرية، ولذلك رفضوا بذكاء نزع سلاحهم بحجة عدم وجود دولة ولزوم نزع سلاح الجميع واعتبار قتلى الحوثيين في معاركهم مع الدولة شهداء!

كما كانت لمشاركتهم في الثورة أغراض طائفية، فبينما يرفض الثوار شعارات يمنية كان الحوثيون يرفعون شعارات الموت لأمريكا... ويحيون مناسبات شيعية كعيد الغدير وعاشوراء.

وأيضاً شكلت مشاركتهم في الثورة وسيلة لتحقيق أهداف سياسية، فالحوثيون يؤيدون الحكم الفيدرالي لينفردوا بحكم صعدة، ورغم رفعهم شعار النصر للإسلام لم يمانعوا في إلغاء المادة الثانية في الدستور التي تنص على مصدرية الشريعة للتشريعات، بحجة تناقضها مع الديمقراطية!

ولكن هذا يصطدم بعقيدتهم التي تقوم على أحقية البطنين (ذرية الحسن والحسين) فقط في الحكم، وأن الديمقراطية لا تجري عليهم!!

في الختام: لقد كشفت هذه الكتب عن حقائق غائبة عن الوعي العام بخصوص حقيقة فكر وواقع وسياسات ومواقف وجرائم الحوثيين في خارج اليمن وداخلها، وضرورة أن تعاد طباعة هذه الكتب خارج اليمن، وأهمية تجاوز الخطأ المتكرر بعدم التيقظ المبكر للأخطار القادمة من الأطماع الإيرانية وأذرعها الشيعية في البلاد العربية.

ضعفنا قوتهم

قالوا: فصل المقال أنّه في ظل غياب دور سياسي إقليمي فاعل، وليس منفعلاً، للدول المؤثّرة والكبرى في المنطقة كباكستان والسعودية ومصر وتركيا، سيصبح الطريق معبّداً للمشروع الإيراني الأخطر ليستشري في المنطقة، ويمدّ مخالبه التوسعية في غير بلد، ويغرزها في حبل الوريد لغير عاصمة عربية، ما يميط اللثام كاملاً عن العقيدة العنصرية لملالي قم ونهجهم التطهيري الذي يسترشد المثل الشعبي الإيراني الشهير في القتل على طريقة: «الذبح بالقطنة».

مرح البقاعي –

الحياة ٢٠١٥/٣/١٩

لماذا؟؟

قالوا: جرائم الحشد الشيعي بحق السنة وسط العراق ثابتة وموثقة وتفاصيلها منشورة بصحف عالمية فلماذا تجاهلها من قبل الجامعة العربية ومجلس التعاون؟

جمال خاشقجي-

موقع المختصر ٢٠١٥/٣/١٩

أمر دُبر بليل

قالوا: قبل عام من غزو العراق ذكر أحد مراكز الدراسات الأمريكية تعقيبا على أحداث ٩/١١ يجب دعم التشيع بدلا من دعم التصوف لمواجهة الإسلام الأصولي.

الدكتور خضير الجنابي-

حسابه على تويتر

دورنا المطلوب كأفراد

قالوا: أنا وأنت، ليس بيدنا "قرار سياسي" يمنع الإرهاب الشيعي أو يوقف التمدد المجوسي!

لكننا نستطيع أن نصنع وعيا، ونوقف أمتنا على أهبة الاستعداد.. ليوم آت.

محمد الحضيف –

حسابه على تويتر

المتاجرة بفلسطين

قالوا: حين تسألهم عن سبب مدحهم لإيران يقولون إنها تدعم حركة المقاومة.

وينسون أنها دعمت المليشيات التي قتلت وتقتل الفلسطينيين في لبنان والعراق وسوريا.

صباح الموسوي–

حسابه على تويتر

مقترح عقلاني!

قـــالوا: بعـــد الوصـــول للاتفـــاق النـــووي أعتقـــد أنـــه ســـيتم مـــنح جـــائزة نوبـــل للـــسلام للـــرئيس الإيراني والرئيس الأمريكي بالتقاسم.

حساب شؤون إيرانية على تويتر

إن كنتَ ذا رأي فكُن ذا عزيمة

قـــالوا: اســـتطاع الخلـــيج إفـــشال المـــؤامرة علـــى البحـــرين دون مراعـــاة الغـــرب بقـــرار دخـــول درع الجزيـــرة لهـــا. ويـــستطيع حفـــظ وجـــوده مـــن المؤامرة الجديدة بقرارات نوعية شجاعة.

فيصل بن جاسم آل ثاني-

حسابه على تويتر

نقطة أول السطر

قـــالوا: جـــوهر موضـــوع الـــيمن أن إيـــران احتلـــت عاصـــمة عربيـــة في الجزيـــرة العربيـــة، ولـــيس خلافـــا يمنيـــا – يمنيـــا، والاحـــتلال لا يحلـــه الحوار وإنما يحله المقاومة.

د. عبدالله النفيسي –

حساب المختصر على تويتر

من يفهم؟

قـــالوا: داعـــش خـــدمت إيـــران أكثـــر مـــن خدمـــة الخمـــيني لأنهـــا لولاهـــا لمـــا بقـــي الأســـد حتـــى الآن ولمـــا تـــشرذم الـــسنة في العـــراق ولمـــا تبـــددت طاقات المجاهدين.

النائب ناصر الدويلة–

حسابه على تويتر

قالها موشيه ديان: العرب لا يقرأون

قـــالوا: خطـــة إيـــران في احـــتلال الـــدول (لبنـــان، ســـوريا، الـــيمن) واحـــدة وهـــي تـــزرع لهـــا مليـــشيات ثـــم تـــتحكم في مفاصـــل الدولـــة ثـــم تنقلب على الدولة في محاولة لصفونتها!

عبد الله زقيل–

حسابه على تويتر

حكم محايد

قـــالوا: الإلحـــاد الجديـــد والعلمانيـــة اللادينيـــة هي مجرد دين آخر جديد.

نعوم تشومسكي-

حساب تنوير الملحدين على تويتر

صدقت

قـــالوا: ســـألني أحـــدهم عـــن أخطـــر مخـــدر يفتـــك بـــشباب الأمـــة فأجبتـــه قنـــوات إم بـــي ســـي أخطـــر أنـــواع المخـــدرات المـــدمرة لـــشباب وشـــابات الأمة العربية.

د. سعد البريك –

حسابه على تويتر

التناقض طبيعة الشيعة

قـــالوا: يـــشكك الـــشيعة بتقـــارير هيـــومن رايـــتش ومنظمـــة العفـــو عـــن مجـــازر الإرهـــاب الـــشيعي في العـــراق ويعتمـــدون عليهـــا في أيـــة انتهاكات ضد الشيعة.

محمد العبد الكريم –

حسابه على تويتر

التعلم من تجربة "داعش" و"أبو صهيب"!

مصطفى الأنصاري – الحياة ٢٠١٥/٣/١٣

في دول عربية مثل الجزائر ومصر والسعودية، توالت حقب من التطرف التي استدعت مواجهة فكرية وأمنية وعسكرية، حققت فيها الدول أكثر الأحيان انتصاراً لافتاً، أثمر استقراراً وبعض النجاحات التنموية والاجتماعية. ولو لم تكن الدولة حاسمة في مواجهة عنف الجماعات المتطرفة، لما كانت اليوم سوى نسخ من الصومال.

لكن الذي غاب هو استثمار تلك النجاحات دراميا وإعلامياً، وإشراك الرأي العام والعربي فيها غير المهتم خصوصاً بالحرب على الإرهاب في قصصها، على غرار ما تفعل الوسائط الأميركية، في ترجمة معاركها الخاسرة، وكذلك التي تعتبرها ناجحة سينمائياً، حتى زرعت رسائلها غير المباشرة في أذهان أعدائها، ناهيك عن مواطنيها وشركائها.

لشدة ما تفنن الإعلام الأميركي في ذلك، تمكن من تزيين حتى الوجه القبيح للأمبراطورية، وأنتج أفلاماً اقتربت من الأوسكار، وهي في حقيقتها ليست إلا توثيقاً لجرائم، غلفها بالحيل والإبهار حتى غدت فناً. أقرب الأمثلة فيلم «قناص اميركي»، الذي يوثق حكاية مقززة لجندي شارك قوات بلاده في احتلالها العراق، وفاخر بقنص أطفال عراقيين وأبرياء، في حرب كلها غير شرعية.

«داعش» الذي التقط كثيراً من أساليب الرعب الغربية والشرقية، نجح في هذه الخطوة وأصبحت تجربته الفنية مثيرة لدهشة الباحثين والمتخصصين، ناهيك عن الناس العاديين، وإلا فما الذي يدفع نحو ٣٠٠ ألف إلى مشاهدة فيديو «حرق الكساسبة» في غضون يومين، ما جعل بعض المواقع يبحث عن تفسير نفسي لتلك الظاهرة، خصوصاً وأن الحرق، مشهد لا يتحمل الطبيعيون من البشر مشاهدة تفاصيله.

وإذا كان حرق الكساسبة، وهو المثل الأشهر، صادماً، فإن التنظيم لم يتوقف عند ذلك الحد، فهو بدا محترفاً حتى في مراعاة ذائقة المشاهدين الافتراضيين لانتاجه. فبعدما لاحظ رد الفعل على مشاهد العنف والذبح التي غدت سمته في الأذهان، اتجه إلى ناحية التأثير الروحاني، عبر قصة شيخ غربي، جاهد في إحاطته بالوقار الفني من خلال رواية قصة إسلامه المزعوم وتصويره في المسجد بلحيته الحمراء وعمامته العربية، ما فسرته احدى الفضائيات بأن التنظيم ربما آثر النزوع إلى «نوع جديد من الدعاية الإعلامية» بعيداً من الذبح والحرق والإعدام، قوامها الترويج لـ «دولة الخلافة» على أنها «أرض الحياة»، عبر قصص كان أول أبطالها رجل فرنسي ستيني يدعى «أبو صهيب الفرنسي».

المقصود أنه إذا كان تنظيم «القاعدة» وبقية الجهات المتطرفة، هي في حقيقتها مثلما قال

بالأمس القريب وزير الداخلية السعودي الأمير محمد بن نايف «واجهات لدول وأنظمة تسخر إمكاناتها للنيل من أمننا واستقرارنا واستمرارية وجودنا»، فإن مواجهة تلك التنظيمات ومن وراءها، ينبغي أن لا تكون عشوائية، خصوصاً في جانبها الإعلامي الذي غدا أكثر تأثيراً من القوة العسكرية في الناس والمتعاطفين والمحايدين.

وفي السعودية حيث ما زال الإرهاب يشكل خطراً، أنفقت الدولة البلايين في سبيل مكافحته، إلا أن الأداء الإعلامي في جانبه الفني ظل ضعيفاً، إذا ما قورن بالآخر المضاد (رسالة ماجستير من جامعة نايف للعلوم الأمنية، بحثت تغطية الصحف السعودية للعمليات الارهابية وخرجت بتلك النتيجة)، بل إن الجهات الأهلية والحكومية، لا تزال تقوم بمبارداتها على هذا الصعيد، من دون الاستناد إلى مظلة واحدة أو رؤية استراتيجية منسجمة، مثلما أكد نحو من ٤٠ شخصية تمثل جهات أمنية وفكرية عدة، جمعتها «حملة السكينة» الأسبوع الماضي، لعرض أفكارها على مفتي البلاد الشيخ عبد العزيز آل الشيخ. وكانت الأحاديث الجانبية واضحة في أن الجميع يحاول تقديم شيء مؤثر في معالجة الفكر المتطرف، إلا أن الإحتراف النوعي في ذلك شبه غائب.

لذلك كان بين المقترحات التي يراها المهتمون في هذا الحقل، إنشاء «مركز معلومات»، تخصصه محصور بالإرهاب وحده، يوفر المعلومات والقصص والأفكار، وينتج البرامج، مستعيناً بالإمكانات الفنية الهائلة التي تملكها قنوات ومؤسسات إعلامية، في السعودية والعالم العربي، قادرة على إحداث تحول مؤثر، يماثل على الأقل منتج التنظيمات المتطرفة مرحلياً، ثم يتفوق عليها بعد ذلك. أما إذا ظل التناول الإعلامي السمعي والبصري للإرهاب يمارس النهج نفسه، فإن «داعش» وما ماثله سيحصدون تفوقاً ليس في صالح أي كان، لجهة اثره على المتلقي.

السفير الأمريكي في حضرة الصوفية بـ(الكباشي)... رسائل متعددة

صلاح جمد مضوي – المجهر السياسي ٢٠١٥/٣/٣

ما أن أشرقت شمس صبيحة الأمس على ضاحية (الكباشي) شمال الخرطوم بحري، حتى ارتفعت رايات الطريقة (القادرية) عالياً، واهتزت الأرض على وقع ضربات (النوبة)، وتدافعت جموع غفيرة من محبي ومريدي الشيخ «إبراهيم الكباشي» مرحبة بمقدم السفير الأمريكي بالسودان «جوزيف ستانفورد» الذي ما أن ترجل من عربته حتى نُحرت له الذبائح، وعكست حفاوة الاستقبال مزاجاً عاماً في السودان، وبخاصة بين جموع الطرق الصوفية وشيوخها وتلاميذها ومحبيها وبين الولايات المتحدة الأمريكية وسفيرها الذي بات محل احترام كبير لديها، لدرجة أن مراقبين دعوا إلى التأمل فيما يقوم به الرجل، والمرامي السياسية وراء زياراته المتكررة لبيوت التصوف.

حل الضيف الأمريكي، وبدأ برنامج الزيارة الرسمية الذي أُعد على أحسن وجه، وتم التجهيز له بشكل لافت.. ألقى الشيخ «الجيلي المهدي الكباشي» خطاباً رحب فيه بالسفير الأمريكي وأرسل من خلاله التحايا إلى الرئيس «باراك أوباما» وإلى الشعب الأمريكي العظيم كما وصفه. وقال موجهاً خطابه للسفير: (نقول لكم يا سيادة السفير إن شعبكم بنى دولة عظيمة على قاعدة التنوع العرقي والثقافي والديني. ونحن الصوفية في السودان بنينا أركان الدولة في القرن السادس عشر بالمحبة والتمازج والتلاقح بين الأجناس كافة، ولم نزل على العهد نرى الناس جميعاً أحباء الله). وزاد: (نحن نسعد بنجاح التجربة الأمريكية في بناء دولة تسع الجميع).

ومضى الشيخ في خطابه: (أنت ترى يا سعادة السفير التشابه الكبير بين بلدينا، في اتساع المساحة الجغرافية وكثرة الموارد والخيرات،

والتنوع العرقي والثراء الثقافي)، قبل أن يضيف: (نقدر جهودكم الإنسانية في إغاثة المتضررين والمجاعات والكوارث، ونحن الصوفية نذرنا أنفسنا لخدمة كل الناس، وخلاوينا لكل الناس، المسلم منهم وغير المسلم.. ونحن لسنا طلاب سلطة ولا أهل دنيا فمملكتنا في داخل قلوبنا، وسلاحنا مسابحنا)، ومضى الشيخ «الكباشي» مخاطباً السفير الأمريكي: (لنا أحباب في كل أنحاء السودان يعانون الحروب ونقص الغذاء والدواء والكساء، وأطفال محرومون من التعليم. ونحن نريدك أن تخت إيدك معانا عشان نوقف الحروب في كل السودان.. ونريد من الولايات المتحدة رفع الحصار الاقتصادي)، ثم دعاه إلى العمل من أجل إيقاف الحرب في إقليم دارفور وجنوب كردفان والنيل الأزرق، وقال: (نريد من الرئيس أوباما في ولايته الثانية تحقيق حلم استقرار السودان وإيقاف نزيف الدم)، وتابع: (نحن كصوفية لا نقبل أن تقف عمامة سودانية أمام محكمة لاهاي).. وعن تسامح الصوفية ودعوتهم السلمية من أجل الإخاء والمحبة، ضرب الشيخ «الكباشي» للسفير الأمريكي مثلاً، حيث قال له: (أنا كنت مستشاراً للفريق سلفا كير، وفي هذا المكان دقينا النوبة لإخواننا في الحركة الشعبية، لأننا دعاة إخاء وسلام ومحبة، وما يؤذي أهل الجنوب يؤذينا).. وفي ذات الوقت دعا الشيخ الولايات المتحدة المحافظة إلى إعلاء شرعية الرئيس «عمر البشير» باعتباره صمام أمان للدولة، ثم قال: (هنالك خطر يتهددنا جميعاً هو خطر إشاعة الكراهية والعنف، وخطر الإرهاب وتفجير الآمنين).. وختم الشيخ «الكباشي» كلمته بالقول: (نحن الصوفية جاهزون للعمل بإخلاص من أجل المبادئ).

السفير الأمريكي بالخرطوم «جوزيف ستانفورد» خاطب حشود الصوفية من مريدي الطريقة (القادرية– الكباشية)، قائلاً إن الولايات المتحدة مهتمة بالسودان وبسلام السودان، وبتقديم المساعدات الإنسانية في مناطق النزاعات ودارفور. وأضاف إنه كلما ذهب إلى منطقة من مناطق السودان يسأله الناس عن العقوبات، وقال بشكل واضح: (اسمحوا لي أن أقول إنه يتوجب على حكومة السودان اتخاذ خطوات إيجابية قبل أن نقوم برفع هذه العقوبات). وأبدى استعداد الولايات المتحدة للدخول في حوار مفتوح مع السودان، وأكد بأن أهداف بلاده معلومة في تحقيق السلام في جميع مناطق النزاعات، كما أشار إلى ما وصفه بـ(انخراط أمريكا) مع المجتمع المدني في السودان، للعمل معه بشكل أفضل للوصول إلى الشعب السوداني وتمتين العلاقات.

وقبل ختام اللقاء، الذي أقيم في خيمة للاحتفالات، قام السفير «ستانفورد» بإهداء مشيخة (الطريقة القادرية– الكباشية) كتباً عن حياة المسلمين في الولايات المتحدة وأخرى عن الأدب الأمريكي، وألبوم صور عن الحياة في أمريكا، وبادله الشيخ «الجيلي» الهدية، بإهداء السفير الأمريكي (شال الصوفية) الأخضر الشهير، الذي ارتداه وعلق بقوله: (دي بركة مهمة)، وذهب «ستانفورد» وهو موشح بعباءة الصوفية إلى الجزء الآخر من الاحتفال لزيارة أحد المراكز الإسلامية التي افتُتحت حديثاً، وجلس هناك إلى جانب الشيخ «الجيلي» وخليفة الشيخ «إبراهيم الكباشي» الخليفة «عبد الوهاب الحبر»، حيث احتسى مشروب (غباشة)، فقال له أحد المريدين إن هذا المشروب فيه (بركة)، فرد السفير على الفور: (كل حركة فيها بركة)، وبعد ذلك تحرك موكبه صوب مكان الاحتفال الرئيس برفقة الشيخ «الجيلي الكباشي» ليودع الجماهير، ثم قفل راجعاً إلى الخرطوم بعد قضاء يوم جميل في حضرة الصوفية.

حرس السنّة الوطني وحشد الشيعة الشعبي

عصام الخفاجي – الحياة ٢٠١٥/٣/١٤

ليس مستَغرباً أن تثور اعتراضات حادة على مشروع قانون يؤسس لحرس وطني عراقي من أبناء العشائر السنّية. يدور الصراع حول نقطة رئيسية: لمن سيخضع هذا الحرس؟ ومن يعيّن ويعزل قادته ويرسم خطط عملياته؟ قادة كتل شيعية تتقدّمهم كتلة «دولة القانون» التابعة لرئيس الوزراء السابق نوري المالكي، تصرّ على أن يكون الحرس مرتبطاً بصورة مباشرة بمكتب القائد العام للقوات المسلحة (الذي هو رئيس الوزراء) لأن إيكال الأمر إلى حكومات المحافظات يهدد بتناحر طائفي مسلّح، وبأن تندسّ عناصر بعثية و«داعشية» و «قاعدية» في صفوف هذا الحرس.

لا يجانب المعترضون الصواب، إذ يقترحون أن ترتبط تشكيلات الحرس الوطني (ولنسمّه باسمه: الحرس السنّي) بالجيش النظامي وتخضع له. لكن خطر الاقتتال الطائفي يكمن في هذا الاعتراض الصائب بالضبط. وليس هذا تلاعباً بالكلمات. فليس مطروحاً قط إخضاع الحشد الشعبي الشيعي للقواعد نفسها. فهو، كما بيّنت في مقال سابق، تشكيلة كاملة الاستقلال. ولا يقلل من استقلاليته التنافس بين الميليشيات المنضوية فيه. يصف مراسل «نيويورك تايمز» رحلته إلى كركوك بعد تحرير قضاء جنوبها، فيقول أنه مرّ بثلاث نقاط تفتيش أولاها تحمل علم «قوات بدر»، والثانية علم «عصائب أهل الحق»، والثالثة علم كردستان على مدخل كركوك، حيث أبلغته البيشمركة أنها ستقطع يد من يقترب من نقطة تفتيشها. وفي كل تلك النقاط لم يرَ المراسل علماً عراقياً واحداً. الحشد جيش يفوق الجيش العراقي عدداً، ويبدو أنه يفوقه قدرة قتالية. وعلاقته بالأخير تمرّ شكلياً عبر مسؤول عراقي هو، كما تشير المعلومات الاستخبارية الأميركية، قائد في الحرس الثوري الإيراني. في عملية تحرير محافظة صلاح الدين الجارية الآن، أكّد قائد قوات التحالف الأميركي أن ثلثي القوة المهاجمة، التي يبلغ عددها ثلاثين ألفاً، هي من الحشد الشعبي والثلث الآخر من الجيش النظامي. وفي البيانات العسكرية العراقية لا يجري الحديث عن هجوم لقوات الحشد تحت إشراف الوحدات العسكرية مثلاً، أو بأوامر تلقّتها القوات من الجيش، بل نسمع عن «عمليات مشتركة». وإذ تتوافر للحشد كل هذه الإمكانات ويحظى بدعم إيران القوي له متمثّلاً في تولّي قاسم سليماني، القائد المحنّك لـ «جيش القدس» الذي هو وحدة النخبة في «الحرس الثوري»، مهمّة الإشراف والتخطيط لعمليّاته العسكرية، فضلاً عن توفير المعلومات الاستخبارية عن مواقع «داعش» وتحرّكاته. فليس من باب الادّعاءات الفارغة إعلان قادة الحشد أنهم ليسوا في حاجة إلى الدعم الجوّي للتحالف وهو ما دفع الأميركيين الشاعرين بالإهانة إلى الاعتراف بأن العراقيين لم يطلبوا منهم ذلك، ما اضطرّ رئيس الوزراء المُحرج حيدر العبادي إلى القول أنه لم يطلب تدخّل قوات التحالف خوفاً من تعرّض طائراتها إلى «نيران صديقة». أمام هذا الواقع، من حق السنّة التساؤل عمّا يحمله اليوم التالي بعد «داعش». لقد خبروا تجربة «الصحوات» المذلّة حين قادوا عمليات طرد «القاعدة» من العراق بعد أن عجزت الولايات المتحدة والقوات المسلّحة العراقية عن أداء تلك المهمّة. وحين انسحب الأميركيون انقطعت عنهم الرواتب الشهرية وانحلّت «الصحوات» ولم يتم دمج أفرادها بالجيش النظامي كما وُعدوا. ونعرف كيف أدّت سياسات الإقصاء والفساد والطائفية إلى بناء جيش غير مهني انهار وهرب قادته قبل أن يشتبك مع «داعش».

لا يريد السنّي تكرار تجربة نزع سلاحه لكي يواجه التهميش. ولا يريد أي عراقي تكرار تجربة اعتصامات السنّة في ساحات المدن السنيّة التي كان قمع رئيس الوزراء السابق نوري المالكي لها والتحريض ضدّها بصفتها حركات يقف وراءها

البعثيون و «القاعدة» ودول إقليمية عاملاً رئيسياً في تأجيج غضب كان متأججاً أصلاً عاد الجهاديون بفضله إلى تلك المحافظات السنّية. كان في صفوف المعتصمين مجرمون وجهاديون، وكان بينهم من رفع صور صدّام حسين، وكان من بينهم من تلقّى دعماً من قوى إقليمية، هو مهما كان حجمه فإنه يقلّ بكثير عن الدعم الإيراني لحلفائهم في العراق. لكن الحكمة تقتضي التساؤل عن أسباب تقبّل عدد غير قليل من السنّة لهؤلاء وتفضيلهم لهم على مؤسسة الدولة، وهم الذين قاتلوا «القاعدة» بشراسة قبل سنوات قليلة واشتبك كثير منهم مع عناصرهم الذين اندسّوا بين المعتصمين.

ما سرّ هذا التلوّث السنّي والنقاء الشيعي؟ وهو مقلوبُ السؤال الذي ينبغي توجيهه إلى «داعش» وللجهاديين: ما سر تلوّث «الروافض» (الشيعة) ونقاء السنّة؟ لماذا نتوقع الاندساس في صفوف الحرس الوطني الموعود، وهو أمر متوقّع، فيما لا نتوقع حدوثه في الحشد الشعبي أو في القوات المسلّحة نفسها أو في قوات البيشمركة، وهو الآخر أمر مألوف في كل جيوش العالم وحركاته المسلّحة؟ ثمة مُضمَر يحسّه الجميع ولا يقوله محترفو تداول عبارة «إخواننا السنّة» أو «إخواننا الشيعة» الطائفية. لكن الوقائع التي يصمت المرء عنها تغدو سامّة، كما يقول نيتشه.

كان المضمر في عهد البعث، أن الشيعة والأكراد غير موالين للدولة. والمضمر اليوم هو أن السنّة غير موالين للعراق. وبرّر هذا لصدّام ارتكاب بشاعات بحق الشيعة والأكراد محوّلاً المضمَر إلى معلَن حين خرجت صحيفة «بابل» بسلسلة افتتاحيات تنعت «طائفة معيّنة» بكونها غير عراقية وأن أسباب زيادة السكّان الشيعة تعود إلى انتشار زواج المتعة بينهم. الشيعي إيراني الولاء حتى يثبت العكس. ما تعرّض له السنّة في عراق البعث ليس غير نتفة من بشاعات صدّام، لكن المضمر يظل قائماً: السنّة موالون للبعث و «القاعدة» و «داعش» حتى يثبتوا العكس. رحّب بعض السنّة باحتلال «داعش» مدنهم، وأذعن آخرون كما يذعن كل شعب للمحتل حتى يمتصّ الصدمة ويشرع بالمقاومة، وتوهّم البعض بأن مجيء حركة سنّية، قد يفرض عليهم شروط حياة قاسية لكنّه يخلّصهم من تجاوزات قوى أمن غريبة حتى اكتشفوا أن ما فرضه «داعش» عليهم لم يكن حياة قاسية بل استبداداً وحشياً. وغداً إذا تكرّر مشهد عام ٢٠١٣ الذي أشعل حركة الاعتصامات السنّية علينا ألّا ننسى خلايا «داعش» التي ستظل نائمة تنتظر لحظة الاستيقاظ بفارغ الصبر.

سيمرّ الخلاص من هذه الأزمة عبر مخاض قاس نلحظ بوادره منذ الآن، إذ تنطلق عمليات بطيئة لإعادة بناء الجيش على أسس مهنية، فتتصاعد أصوات الاحتجاج لأن ضباطاً بعثيين سابقين يشاركون في القتال ضد «داعش». وإلى أمد لا يعرف أحد مداه، سيظل غرب العراق، وهو الذي كان أبناؤه الأشد عداء للوجود الأميركي، أميركي الهوى، فيما يظل شرقه خاضعاً لميليشيات إيرانية الهوى. وهنا أتعمّد ألّا أتناول وضع قوات البيشمركة لأنني، كما كتبت سابقاً، أعتبر كردستان منذ الآن دولة جارة قيد التأسيس بما فيها المناطق الخاضعة لسيطرة البيشمركة «الاتحاد الوطني الكردستاني» المدعوم إيرانياً والقريب من بغداد.

من السهل الحديث عن الإدماج التدريجي لقوات الحشد الشعبي والحرس الوطني ضمن تشكيلات القوات المسلحة العراقية. ولكن، أي معجزة ستقنع الحشد بالتنازل عن استقلاليته والخضوع لسلطة الدولة؟ ومن سيقوم بنزع أسلحة جيش الحشد الشعبي الجرّار الذي تدعمه قوى وشخصيات سياسية نافذة تعمل بدأب على إفشال الخطوات المتواضعة التي تسير عليها حكومة العبادي؟ وأهم من ذلك كله، كم مليوناً سينزل إلى الشوارع دفاعاً عن المحرّرين الذين قدموا

التضحيات البطولية لتخليص العراق من «داعش»؟ عندها، سيكون السؤال المؤلم: هل تندمج الدولة في الحشد أم تسقط على يديه؟

حوار شؤون خليجية مع د. محمد السعيدي
كيف يمكن للعرب مواجهة إيران

موقع شؤون خليجية –٢٠١٥/٣/١٧

- **يوجد نقاط وهن كثيرة في المشروع الصفوي يجب استغلالها لأنها كفيلة بإسقاطه**
- **صعود الحوثيين واستيلاؤهم على السلطة في اليمن لم يكن مفاجئًا للمتابعين للأحداث**
- **الحوثيون يسعون لتوريط السعودية في حرب يمنية لكن المملكة أذكى من ذلك**
- **لابد أن نعترف أن هناك تقصيرا مخابراتياً سعوديا في إدارة الملف الإيراني**
- **الحزم الأمني في المملكة كان ضروري وتخلله أخطاء**

أكد الدكتور محمد السعيدي – الداعية الإسلامي المعروف وأستاذ أصول الفقه بجامعة أم القرى بالسعودية – أن صعود جماعة الحوثي الشيعية المسلحة في اليمن لم يكن مفاجئًا، والمتابع للساحة اليمنية لم يكن يستغرب هذا الصعود، خاصة وأنه خدمته عدة عوامل تاريخية وحالية، مشيرًا إلى أن الحوثيين يريدون توريط السعودية في حرب معهم لخدمة المشروع الإيراني بالمنطقة.

وأوضح السعيدي في حواره الخاص مع «شؤون خليجية» أسباب الصعود الحوثي في اليمن، ومحاولاتهم إشعال الخلافات مع دول الخليج خاصة السعودية، وكيف نجح الذكاء السعودي في تجنب الدخول في حرب باليمن، وأكد أن العرب قادرون عن مواجهة المشروع الإيراني الذي يتمدد الآن في المنطقة، وأن لديهم الإمكانات والإجراءات التي يمكن أن يتخذوها لمواجهة التمدد الصفوي، مطالبًا الدول العربية والإسلامية السنية بالتصدي لهذا المشروع، ووقف التعاون مع الدولة الشيعية لمواجهة تغلغلها للسيطرة على مقدرات المنطقة.

وإلى تفاصيل الحوار..

❖ بداية، كيف تقرأ الصعود الكبير لجماعة الحوثي الشيعية المسلحة، وسيطرتها على العاصمة صنعاء؟

الصعود الحوثي لم يكن مفاجئًا أبدًا، والمتابع للساحة اليمنية لم يكن يستغرب هذا الصعود، فقد خدمته عدة عوامل تاريخية وحالية، لكنني سأقتصر على الحالية، والتي يمكن تلخيصها في أربعة عناصر مهمة:

١- اكتساب الحوثي شرعية في الداخل اليمني من خلال القبول به شريكًا في الثورة، وهذا الخطأ يتحمل حزب الإصلاح اليمني جانبًا كبيرًا منه، حيث قبل الإصلاح من أجل هذا التحالف بكل ما مارسه الحوثي من انتهاكات، ولم يقم بإدانتها أو الوقوف في وجهها، ومن ذلك التغاضي عن جريمة الحوثي في «دماج».

٢- تحالف المؤتمر الوطني – حزب المخلوع علي عبد الله صالح – مع الحوثي ضد بقية المكونات السياسية.

٣- ضعف قيادات الجيش اليمني، بل ضعف بنية الجيش العسكرية واتهام عدد من قياداته بالخيانة.

٤- ترك التجمع اليمني للإصلاح مقاومة الحوثيين ليلة سقوط صنعاء، بحجة كونها مؤامرة مدبرة لاستئصال الإصلاح.

❖ برأيك، هل تعتقد أنه من الممكن أن يتورط الحوثي في حرب ثانية مع السعودية؟

الحوثيون هم من يرغبون في توريط المملكة السعودية في حرب معهم، وذلك لأن دخول المملكة في حرب مباشرة في اليمن سيواجه باعتراض كبير من المجتمع الدولي المتغاضي أو المتآمر مع المشروع الإيراني، الأمر الذي سيعني إصدار إنذار للسعودية من قبل الأمم المتحدة للسعودية بالانسحاب، وعندها تكون السعودية في ورطة، حيث عدم

انسحابها سيعني إصدار قرار أممي بانسحابها ولو بالقوة، أما إذا انسحبت فهذا يعني ضعفاً شديداً في موقفها داخليًا وخارجيًا، كما أن انشغالها باليمن سيعني حتما ارتفاع أسعار النفط، الأمر الذي يشكل إنقاذًا لإيران وروسيا من ورطتهما الحالية.

لذلك تحرص السعودية على أن يكون أي تدخل لها تحت مظلة الأمم المتحدة، وهذا ما حملها على المطالبة بتطبيق البند السابع، وقرار مجلس الأمن الذي صدر في حق الحوثي وإن كان قويًا إلا أنه لا يخول أي طرف من الأطراف استخدام القوة، والحقيقة أن المملكة لا تزال لديها أوراق يمكنها استعمالها لإنهاء أزمة اليمن.

❖ الحديث عن دعم دول عربية للحوثيين من الأمور المتواترة، فهل هناك عواصم عربية تدعم الانقلاب الحوثي؟

للأسف هذه التهمة أطلقتها بعض دول الخليج ضد بعضها، فهناك من اتهم قطر، وهناك من اتهم الإمارات، وهناك من اتهم السعودية، وفي رأيي لا يوجد دليل مادي مقنع على أي من هذه التهم، كما لا توجد مصلحة لدولة ما في فعل ذلك، لكن بعض الإعلاميين اليمنيين المتعاطفين مع الجناح الإخواني في التجمع اليمني للإصلاح اختار أن يُرَوِّج للخيار الثالث والثاني على اعتبار أن السعودية والإمارات لهما خصومة مع الإخوان في مصر، فكان هذا الترويج للأسف فيه نوع من التشفي والانتقام، لكن دخول الحوثي إلى صنعاء وفرار علي محسن الأحمر للسعودية أكد كذب هذه المقولة، إذ كيف يهرب قائد عسكري محسوب على الإصلاح إلى الدولة الداعمة لخصمه، وبالتالي المعادية له.

❖ ماذا عن الدور المستقبلي لإيران في المنطقة وهي تتحدث عن سقوط ٤ عواصم في يد الشيعة، من بغداد إلى صنعاء، مرورا بدمشق وبيروت؟

أعتقد الأمر تجاوز ذلك، ففي هذه الأيام هناك من يقول إن إيران استعادت إمبراطوريتها الفارسية وعاصمتها القديمة في العراق، وأنا كمنتمٍ للتوجه السلفي لا أستغرب هذا، وليس جديدًا علي، فمنذ أكثر من ثلاثين سنة ونحن السلفيون نربط بين إيران الخميني والإمبراطورية الفارسية، وقبل ثلاثين عامًا كانت جامعة الإمام محمد بن سعود توزع كتاب (وجاء دور المجوس) على طلابها، وفي احتفالاتها الثقافية، فكان التصدي للمشروع الشيعي الفارسي همًّا ماثلاً أمام المنتمين للتوجه السلفي منذ ذلك الوقت.

وفي الحقيقة دعنا نقول إنه من المؤسف أن العلماء المنتمين إلى الجماعات الإسلامية، وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين، أضعفوا المشروع السلفي منذ ذلك الوقت، حين انخدعوا بإيران وروجوا للخميني في خطبهم ومؤلفاتهم، ثم اشتركوا في مؤتمرات التقريب بين السنة والشيعة، والحق أنهم ساهموا في الترويج للتشيع داخل الوطن الإسلامي من وقت مبكر، كما أسهموا في إخفات الصوت السلفي المحذر وبقوة من المشروع الإيراني، وللأسف تأثر بعض من يوصفون بأنهم مفكرون من جذور سلفية بهذا الطرح المنخدع، وزاد انخداعهم بما يسمى مقاومة حزب اللّه للصهاينة، وكانوا أداة ترويج له.

وفي ظني أن هذا الانخداع كان سببًا للتهاون السياسي المبكر مع المشروع الإيراني في العراق واليمن ولبنان وسوريا والسودان وتونس، كما أنه وللأسف لم أر كاتبًا واحدًا أو محللاً سياسيًا ممن يتشدق اليوم بالتحذير من إيران يجرؤ على الثناء على الموقف السلفي المبكر.

❖ وهل تعتقد أنه يمكن تدارك الأمر في الوقت الراهن؟

لا شك أن هناك نقاط وهن كثيرة في المشروع الإيراني تحتاج إلى الكثير من الضرب في اتجاهها وهي كفيلة بإسقاطه، وأهمها الجبهة الداخلية المتهالكة والوضع الاقتصادي، والرفض العربي الشيعي للوجود الإيراني في العراق، واحتمالية تغير

الموقف الأمريكي بعد انتخابات الكونجرس القادمة أو بعد الانتخابات الرئاسية القادمة في الولايات المتحدة، والموقف الأوروبي المختلف عن الموقف الأمريكي من إيران.

❖❖ إيران التهمت الجزر الإماراتية وترفض أي تفاوض بشأنها، ثم الجنوب اللبناني وترفض انتخاب رئيس للبنان، وتعلن علانية الدعم العسكري لبشار الأسد بسوريا، فكيف يمكن مواجهة هذا الأخطبوط الصفوي؟

لعل الجواب السابق تضمن شيئا مما سألت عنه هنا، والذي يمكن أن أضيفه هو أن هناك عقوبات اقتصادية دولية ضد إيران، وللأسف نجد أن دولاً يفترض أن تقف ضد المشروع الإيراني تعمل كرئة تنفس لإيران، فإيران الآن تتنفس عن طريق علاقاتها المالية الضخمة مع تركيا والإمارات العربية، وبالنسبة لتركيا فهو أمر معلن سياسيًا، وباستطاعة الدولة أن توقفه مباشرة، وهو أحد أهم نقاط الخلاف بين جماعة فتح الله كولن وبين الرئيس أردوغان، أما بخصوص الإمارات فهو تبادل تجاري كبير وواضح للعيان، لكنه غير مُقَر سياسيًا.

❖❖ وهل تعتقد أن العقوبات الاقتصادية كافية لإيقاف المشروع الإيراني؟

خنق الاقتصاد الإيراني وسد هاتين الرئتين أمر مهم جدًا كي يتمكن سلاح تخفيض أسعار النفط من إثبات جدواه، لكن دعنا نقول وبكل صراحة إن هناك أيضًا تقصيرا كبيرا في العمل المخابراتي، ولاسيما السعودي الذي يمتلك أدوات قوية يمكنه تحريكها داخل العمق الإيراني، لكن هذا البعد المخابراتي لم يأخذ حظه المطلوب حتى الآن، وأعتقد أن القارئ الفطن يدرك ما وراء كلامي هذا.

❖❖ لو انتقلنا للحالة السعودية الداخلية، كيف تنظرون إلى الوضع الحقوقي في السعودية في ظل الانتقادات التي توجهها له منظمات حقوقية دولية؟

السعودية تمر بحرب على البقاء، لذلك سلكت لصد هذا العدوان الذي يستهدف وجودها مسلك الحزم الشديد، وأعتقد أنه حزم مبرر في الجملة، ونحن جميعًا نعلم أنه لولا هذا المسلك لأصبحت السعودية كالصومال منذ عشر سنوات.

نعم هذا الحزم تخلله الكثير من الأخطاء والتجاوزات وسقط فيه بعض المظلومين، لكن تصحيح الأخطاء ورد المظلوميات قائم على قدم وساق وبنجاح منقطع النظير.

وفي المقابل عانت الدولة من وقوع الظلم الإعلامي عليها بشكل كبير، فمثلاً قالوا إن الموقوفين في قضايا التطرف بلغوا ثلاثين ألفًا، وهم في الحقيقة لم يتجاوزوا في تلك الفترة بضعة آلاف، كما تعلقت الكثير من المطالبات بإطلاق مجرمين محكوم عليهم بمدد مختلفة.

أما المنظمات الحقوقية فمطالباتها كثيرًا ما تتعلق بحَمَلَة الفكر الصفوي والإلحادي والتغريبي، مما يؤكد أن لهذه المنظمات مشروعها الخاص داخل السعودية.

❖❖ هل توافق د. عبد العزيز قاسم (إعلامي سعودي) في قوله إن سجن الحائر خمسة نجوم؟

حسب علمي فعبد العزيز قاسم لم يقل سجن الحائر خمس نجوم، وهذا من الافتراءات عليه، بل وصف غرف الخلوات الشرعية للمساجين بزوجاتهم بأنها غرف ٥ نجوم من حيث التهيئة والتأثيث، أما السجن فلا يمكن أن يكون ٥ نجوم، لكنه – والحق يقال – في غالب تجهيزاته متفوق على المواصفات العالمية للسجون.

في الجزء الثاني من حواره مع «شؤون خليجية» سيتناول الدكتور محمد السعيدي المفكر الإسلامي المعروف، نشأة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وعلاقته بالسعودية وتركيا، والسياسية الخارجية السعودية في عهد الملك سلمان، والعديد من المتغيرات الإقليمية والدولية.

سؤال غدا مطروحاً:
هل سنرى قريباً دولة علوية؟!

صلاح القلاب – الشرق الأوسط ٢٠١٥/٣/١٩

من يدقق في ما يفعله الإيرانيون ويتابع خطوط تمددهم العسكري، إنْ في سوريا وإنْ في العراق وإنْ في اليمن ولبنان، يجد أنه مجبرٌ على العودة إلى الملفات القديمة وتذكير كل من يعنيه الأمر بأنَّ كبار القادة الإسرائيليين، وعلى رأسهم ديفيد بن غوريون، كانوا قد اتفقوا مبكرا، حتى قبل قيام دولتهم، على أن ضمان أمن هذه الدولة واستمرار بقائها يقتضي تقسيم المنطقة العربية المحيطة بها والمتاخمة إليها على أساس مذهبي وإقامة «كومنولث» ديني - طائفي، على غرار «الكومنولث» البريطاني تكون لإسرائيل فيه مكانة بريطانيا العظمى في هذا «الكومنولث» الأخير.

كان ديفيد بن غوريون يرى أن أمن إسرائيل «الاستراتيجي»، على المدى البعيد، يقتضي تحالفا متينا مع الغرب، وبخاصة فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة، ويتطلب تسليحا متفوقا على كل دول هذه المنطقة مجتمعة، كما يتطلب امتلاك القنبلة النووية وإقامة «أشرطة» أرضية عازلة على الحدود مع مصر ومع الأردن ومع سوريا ومع لبنان ثم وفوق هذا كله ضرورة تأمين مصادر المياه، مياه بحيرة طبرية تحديدا، والاقتراب من قناة السويس إنْ ليس بالإمكان الوصول إليها.

لكن موشيه شاريت، الذي كان بعض العرب يسمونه موس شرتوك تحببا والذي أصبح وزير خارجية إسرائيل ثم رئيس وزراء لها، خالف ديفيد بن غوريون الرأي وأكد أن أهم ضمان «استراتيجي» لأمن الدولة الإسرائيلية (الوليدة) هو ألا تكون هناك وحدة عربية بأي شكل من الأشكال وهو أن تبقى الدول المحيطة والمتاخمة متصارعة ومختلفة وأن يتم تقسيمها على أسس مذهبية وقومية - عرقية وبحيث تلتقي في إطار «كومنولث» ديني - طائفي - إثني تكون للدولة «العبرية» فيه مكانة بريطانيا العظمى في «الكومنولث» البريطاني المعروف.

ولهذا ورغم مرور كل هذه الفترة الطويلة، منذ إنشاء الدولة الإسرائيلية في عام ١٩٤٨ وتوسعها باحتلال الضفة الغربية كلها ومعها قطاع غزة في عام ١٩٦٧، فإن ما نراه الآن من تمدد إيراني في المنطقة وبخاصة في العراق وسوريا وإعطاء هذا التمدد طابع التوسع المذهبي الشيعي يجعلنا نتذكر نصيحة موشيه شاريت آنفة الذكر تلك ويجعلنا نضع في اعتبارنا أن الإيرانيين ينفذون الآن الخطة الاستراتيجية التي فشلت إسرائيل، حتى الآن، في تنفيذها مع أنها احتلت لبنان في عام ١٩٨٢ وسعت لتقسيمه وإقامة «كانتونات» طائفية فيه.. «كانتون» مسيحي - ماروني و«كانتون» شيعي في الجنوب ومنطقة البقاع و«كانتون» سني في غربي بيروت وصيدا وطرابلس وعكار على الحدود اللبنانية - السورية.

لقد بدأ الإيرانيون بتنفيذ هذا المخطط، الذي شهد تطورا هائلا بدءا بالغزو الأميركي للعراق في عام ٢٠٠٣ والذي يبدو أنه الآن في مراحله الأخيرة، في بدايات ثمانينات القرن الماضي حيث تم إنشاء حزب الله اللبناني وجرى تحويله، برعاية الإمام الخميني سابقا وعلي خامنئي لاحقا، إلى دولة داخل الدولة اللبنانية وإلى قوة ضاربة تشارك الآن قوات الحرس الثوري الإيراني ونحو أكثر من أربعين تشكيلا طائفيا القتال في العراق وفي سوريا وربما في اليمن الذي بات في حكم المؤكد أنه عاد إلى التشطير الطائفي بين الزيديين والشوافع وكما كان عليه الوضع قبل وحدة عام ١٩٩٠ التي ثبت أنها كانت «زواج متعة» سياسيا وأنها كانت بالنسبة للمسؤولين الجنوبيين بمثابة هروب من المرِّ إلى الأمَر منه.

إن تتبع محاور القتال الآن في سوريا، على وجه التحديد، يثبت بما لا يدع مجالا للشك بأن هدف إيران النهائي وبالطبع هدف نظام بشار الأسد وبعض المرجعيات الشيعية وإلى جانب هؤلاء جميعا حزب الله اللبناني وحزب الله السوري والعراقي هو إقامة دولة مذهبية تربط الجنوب العراقي بالمناطق العلوية في سوريا وبالمناطق الشيعية في لبنان وهذا هو ما يفسر خطوة إلحاق تشكيلات «العائلة الشيعية»: أي الطائفة النصيرية والزيديين والإسماعيليين بالمذهب الجعفري الإثني عشري وبالولي الفقيه وبالمرجعية العليا في طهران و«قُم».

لقد كان هناك إصرار، ولا يزال، على ربط المناطق الشيعية اللبنانية التي يسيطر عليها حزب الله قتاليا بدمشق امتدادا حتى حلب: «نبل والزهراء» تحديدا وحتى اللاذقية وجبلة وبانياس وطرطوس.. والقرداحة بالطبع مرورا بحمص ووصولا إلى بعض مناطق إدلب ومنطقة «كسب» المتاخمة لمدينة إنطاكيا التاريخية، حيث بعد ذلك لواء الإسكندرون الذي انتزعه الأتراك من سوريا، وفقا لمؤامرة دولية اشترك فيها البريطانيون والفرنسيون في عام ١٩٣٩ والذي يشكل هو والمناطق المحيطة به امتدادا مذهبيا للمناطق العلوية السورية.

والمشكلة ورغم أنه لا شك في أن هذه المسألة مؤلمة ومرعبة أننا نتحدث عن قضية ليست جديدة ولا مستجدة هي قضية الطائفية، لكن ما العمل يا ترى ونحن نرى أن إيران تقوم بكل هذا الفرز الطائفي البغيض في العراق وفي سوريا وفي لبنان وعندما نعرف أن السيطرة الجغرافية التي تقوم بها الميليشيات المذهبية المستوردة حتى من الصين وباكستان والهند وأفغانستان والتي يقوم بها حراس الثورة وباقي ما تبقى من الجيش النظامي السوري هي سيطرة طائفية واضحة وهي ترسم، لدى إمعان النظر والعقل فيها، حدودا لا يمكن إلا اعتبار أنها حدود دولة مذهبية.

فهل أن هذا يا ترى سيحصل فعلا وهل أن ما بقي مرفوضا منذ استقلال سوريا من قبل القامات الوطنية العلوية المرتفعة وفي مقدمتها المجاهد العروبي الكبير صالح العلي أصبح مطلوبا ومقبولا في هذا الزمن الرديء..؟!

حسب «العربية - نت» كان عدد من وجهاء الطائفة العلوية السورية قد رفعوا مذكرة عشية استقلال سوريا إلى رئيس الحكومة الفرنسية ليون بلوم جاء فيها: «إن الشعب العلوي الذي حافظ على استقلاله سنة فسنة بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة في النفوس هو شعب يختلف بمعتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم السني.. وإن الشعب العلوي يرفض أن يُلحق بسوريا المسلمة.. إن روح الحقد والتعصب التي غرزت جذورها في صدور المسلمين العرب نحو كل ما هو غير مسلم هي روح يغذيها الدين الإسلامي على الدوام!! لذلك فإن الأقليات في سوريا تصبح في حال إلغاء الانتداب معرضة لخطر الموت والفناء» وهكذا فإن هذه المذكرة تنتهي إلى القول: «ولا نظن أن الحكومة الفرنسية والحزب الاشتراكي الفرنسي يقبلان بأن يمنح السوريون استقلالا يكون معناه عند تطبيقه استعباد الشعب العلوي وتعريض الأقليات لخطر الموت والفناء.. فالشعب العلوي يستصرخ الحكومة الفرنسية ضمانا لحريته واستقلاله ضمن نطاق محيطه الصغير».

وهكذا وفي النهاية فإنه يبقى أنه لا بد من التساؤل: هل يا ترى سيبرز في الطائفة العلوية الكريمة رجال عروبيون من أمثال صالح العلي ليحبطوا ما نلمسه الآن من توجهات مذهبية انقسامية من المتوقع أن تتجسد إلى حقائق على الأرض إذا شعر الإيرانيون بأن احتلالهم لهذا البلد العربي غير دائم وأن نظام بشار الأسد زائل لا محالة؟!

عقيدة الهيمنة على العرب لا تفرق بين محافظ وإصلاحي في إيران

جريدة العرب ٢٠١٥/٣/١١

تبدو الحكومة العراقية مرتاحة لتوسع التأثير الإيراني في البلاد، حيث تتولى طهران بشكل كبير عملية استعادة تكريت من سيطرة داعش وتستعد للاتجاه نحو الموصل، لكن عواصم عربية أخرى لا تمتلك نفس الشعور وتحاول مقاومة هذا التمدد.

أثارت تصريحات أطلقها علي يونسي مستشار الرئيس الإيراني حسن روحاني عن هيمنة بلاده على العراق استياء واسعا بعد أن انتقلت التدخلات الإيرانية في الدول العربية من الغرف المغلقة إلى العلن.

وقال يونسي الأحد، إن «إيران اليوم أصبحت امبراطورية كما كانت عبر التاريخ وعاصمتها بغداد حاليا، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا اليوم كما في الماضي»، وذلك في إشارة إلى إعادة الامبراطورية الفارسية الساسانية قبل الإسلام التي احتلت العراق وجعلت المدائن عاصمة لها.

ونقلت وكالة أنباء «ايسنا» للطلبة الإيرانيين عن يونسي تصريحاته خلال منتدى «الهوية الإيرانية» الذي انعقد في طهران، حيث قال إن «جغرافية إيران والعراق غير قابلة للتجزئة وثقافتنا غير قابلة للتفكيك، لذا إما أن نقاتل معا أو نتحد»، في إشارة إلى التواجد العسكري الإيراني المكثف في العراق خلال الآونة الأخيرة.

وتصريحات يونسي التي أطلقها في وقت تشارك فيه عناصر من الحرس الثوري الإيراني قوات الجيش العراقي وميليشيات الحشد الشعبي الشيعية في معركة استعادة مدينة تكريت من تنظيم داعش، تعكس تعمق العقيدة التوسعية بين الأوساط الإيرانية على اختلاف توجهاتها المحافظة أو المعتدلة.

ولم يبد يونسي، الذي شغل منصب وزير الاستخبارات في حكومة الرئيس الإصلاحي محمد خاتمي، مترددا في إطلاق تصريحاته التي أثارت الجدل داخل إيران وخارجها، بل هاجم أيضا كل معارضي النفوذ الإيراني في المنطقة، معتبرا أن «كل منطقة الشرق الأوسط إيرانية».

«تقارير أشارت إلى أن تحركات القوات الإيرانية لم تقتصر على تكريت بل وصلت إلى محافظة ديالى شمال شرقي بغداد»

وكان يونسي يقصد بهذا الهجوم عدة أطراف أولها وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل الذي كان قد حذر الأسبوع الماضي خلال مؤتمر صحفي مع نظيره الأميركي جون كيري من سيطرة إيرانية كاملة على العراق.

والسعودية من أكبر المعارضين للتمدد الإيراني في المنطقة، وباتت طهران تهدد أمن دول الخليج في البحرين من خلال دعمها للمتشددين الشيعة الذين ينتهجون العنف في مواجهاتهم مع السلطات الحكومية.

وتخطت التطلعات الإيرانية حدود محيطها الإقليمي ودول الخليج أيضا، وامتدت لتشمل باقي منطقة الشرق الأوسط.

وعبر يونسي عن ذلك قائلا «سندافع عن كل شعوب المنطقة لأننا نعتبرهم جزءا من إيران، وسنقف بوجه التطرف الإسلامي والتكفير والإلحاد والعثمانيين الجدد والوهابيين والغرب والصهيونية».

وأشار يونسي في كلمته إلى أن بلاده تنوي تأسيس «اتحاد إيراني» في المنطقة، قائلا «لا نقصد من الاتحاد أن نزيل الحدود، ولكن كل البلاد المجاورة للهضبة الإيرانية يجب أن تقترب من بعضها بعضا، لأن أمنهم ومصالحهم مرتبطة

ببعضها بعضا».

ويرى كثيرون أن العراق بات على غرار سوريا محتلا بشكل كامل اليوم من قبل إيران، التي لا يقتصر تواجدها العسكري في تكريت فقط، بل إن تقارير أشارت إلى أن القوات الإيرانية وصلت إلى محافظة ديالى العراقية شمال شرقي بغداد.

ولا تبدو تصريحات يونسي، كما ذهب البعض داخل إيران، مجرد تطمينات تعمد الإصلاحيون إطلاقها لطمأنة معسكر المحافظين الذين يضغطون على حكومة الرئيس حسن روحاني من أجل التراجع عن توقيع اتفاق نووي مع القوى الغربية حول الملف النووي الإيراني. ودعت شخصيات مؤثرة داخل الحكومة «الإصلاحية» مؤخرا إلى توسيع النفوذ الإيراني في المنطقة كبديل مجد في مقابل الملف النووي.

وقالت مصادر إيرانية إن مساعدين لروحاني يعتقدون أن المحافظين مستعدون لتقبل بنود الاتفاق الجديد إذا كان المقابل هو الإسراع من تمديد أذرع الهيمنة الإيرانية في المنطقة.

لكن الواقع، كما يقول مراقبون، مختلف عن تلك المزاعم، إذ أن حلم السيطرة على بلدان الشرق الأوسط يتساوى في ابعاده بين المحافظين والمعتدلين.

ويقول محمد قواص، الباحث والكاتب السياسي اللبناني «لا يصدرُ الكلام عن إدارة الرئيس السابق محمود أحمدي نجاد المشهور بشعبويته، ولا عن مؤسّسة الوليّ الفقيه الذي ما برح يروّج للثورة الإسلامية ديدنا للعالم أجمع، بل يصدرُ عن دوائر اعتدال تمثّل إيران العميقة، وبالتالي عن انتلجنسيا تُعِدُّ لفلسفة الحكم والبقاء والتمدد (وفق الأبجديات الداعشية)». وأضاف «إذا ما أعلن الرجلُ عما بات معروفا عن (امبراطورية) وبغداد عاصمة، فأين المفاجأة في ذلك؟».

ويونسي من أقرب المسؤولين لروحاني، ويحتل مكانة بارزة لدى المرشد الأعلى للثورة الإيرانية علي خامنئي.

وكان يونسي من بين من أسسوا واستكملوا بناء سياسة التوسع الإيراني في العراق عندما كان يشغل منصب وزير الاستخبارات في عهد الرئيس خاتمي. لكن هذه السياسة ظلت تحت غطاء من السرية تحت حكم الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين، الذي كان يضمر عداء شديدا لسلطة ولي الفقيه في طهران.

لكن منذ الغزو الأميركي للعراق عام ٢٠٠٣، بدأ المسؤولون الإيرانيون على اختلاف توجهاتهم يجهرون بخططهم للسيطرة على مجريات الأمور في بغداد.

وكان التشدد الديني وأنشطة تنظيم القاعدة المكثفة ضد المدنيين ومؤسسات الدولة هي الحجة التي تبناها الإيرانيون للتدخل في العراق تحت غطاء دعم الحكومة في مواجهتها. وعلى ما يبدو فإن تعمق هذا التمدد في العراق يتم الآن على نفس نهج مقاومة المتشددين السنة، لكن في هذه الحالة في شمال العراق وبشكل علني.

ويقود الجنرال قاسم سليماني قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني عمليات استعادة مدينة تكريت من سيطرة تنظيم داعش، ضمن عملية عسكرية كبيرة ينظر غليها المراقبون باعتبارها اختبارا لتحرير مدينة الموصل أكبر المدن الواقعة تحت سيطرة التنظيم المتشدد.

وأعرب قواص عن استغرابه من رد فعل الحكومة العراقية على هذه الأنشطة الإيرانية. وقال «يجري الأمرُ بصفته عند الحاكم العراقي من عاديات الأمور، لا يسببُ حرجا ولا حتى تحفظا صوريا».

قواعد أساسية في باب "الدعوة للحوار مع إيران"

علي باكير – السورية نت ٢٠١٥/٣/١٦

خلال الفترة القليلة الماضية، لوحظ وجود ازدياد في عدد المقالات العربية التي تدعو إلى الحوار مع إيران، كما لوحظ أنّ غالبية هؤلاء ينتمون إلى تيارين في الغالب، لن أتطرق إلى خلفيات الداعين وأفكارهم وأدوارهم السابقة وكيف كانوا جزءاً من حالة النفخ في أجندة إيران وأدواتها (كحزب الله) في المنطقة خلال العقدين الماضيين تحت شعار مقاومة إسرائيل، وسرعان ما تراجعوا، او انكفئوا مضطرين تحت وطأة الثورات العربية إلى التغيير التكتيكي في خطابهم قبل أن يعودوا إلى النغمة ذاتها مجدداً الآن، ولكن بصيغة أقل حديّة وبمسوغات مختلفة أبرزها أنّ إيران أصبحت تهيمن على الدول العربية وأنّ هذا بحد ذاته يستوجب التواصل والحوار معها.

الحوار في المبدأ أمر مهم وحيوي وإيجابي ومطلوب ويجب السعي لتشجيعه دوماً وعدم الخوف منه، لكن الأهم هو مع من ومتى ومن أجل ماذا وعلى أي أساس وما هي النتيجة المرجوة من الحوار. فالحوار مهم بقدر ما يكون وسيلة للوصول إلى الهدف، وهو يفقد أية أهمية عندما يتحول إلى غاية مجرّدة لا تضيف أية قيمة مضافة للعملية. بل على العكس، في الحالة الأخيرة قد يتحول الحوار إلى عبئ على بعض المتحاورين كما سنشرح في سياق المقال.

سبق وأن ذكرت في مقال سابق لي بأنّ السياسة الإيرانية سياسة معقّدة لمن لا يفهم طريقة التفكير الإيرانية والأدوات التي يوظفها النظام في سبيل الحفاظ على وجوده وتعزيز أجندته وتنفيذ مشروعه، لكنها في الوقت نفسه سياسة قابلة للفهم والتفكيك والمواجهة إذا تمّ استيعاب الخلفيّة الاستراتيجية التي يتحرّك الإيراني ضمنها. لقد طوّر النظام الإيراني مع الوقت سلسلة من المفاهيم والأدوات والممارسات المستمدة من خلفيته التاريخية والثقافية والطائفية وحوّلها إلى عقائد استراتيجية يجري استخدامها وتوظيفها في إطار رؤية سياسية محددة الأهداف والمعالم.

وفي هذا السياق، هناك إشكاليات تتعلق بمنهج الحوار نفسه مع الجانب الإيراني، وهناك إشكاليات تتعلق ببنية النظام الإيراني نفسه، وثالثة تتعلق بكيفية فهم النظام الإيراني لأية عملية حوار والغرض المراد تحقيقه منها، وهي أمور يجب دراستها بعناية بالغة جداً من قبل الداعين إلى الحوار مع النظام الإيراني، ومن قبل من يعتقد أنّه بدعوته إلى الحوار مع إيران إنما يفعل أمراً جيّداً أو أنّه سيستفيد منه.

عدم فهم هذه القواعد - التي سنشرحها- بشكل جيد، يجعلنا نقول إنّ الدعوة الى الحوار مع إيران في هذا التوقيت بالذات هي عمل متهور وعشوائي وبمثابة قفزة في الهواء غير معروفة النتائج، لا بل من الأصح القول إنّ نتائجها السلبية تفوق بكثير أية نتائج إيجابية قد يأمل البعض تحقيقها عبر هذه العملية.

من القواعد الأساسية لأي حوار هو أنّه «لا حوار مع من يمتلك سلاحاً على الطاولة». هذه القاعدة من القواعد البديهية التي يجب أن يعرفها كل من يدعو إلى الحوار. التحاور أو التفاوض مع طرف يضع مسدسه على الطاولة أو في رأسك يجرّد أي حوار من معناه وتتحوّل العملية عندها إلى عملية فرض إرادة أو إلى شهادة زور في أحسن الأحوال.

المشكلة في أنّ الداعين من العرب إلى الحوار مع إيران لا يتعلمون حتى من إيران نفسها. النظام الإيراني وبالعودة إلى الحقائق التاريخية يرفض رفضاً قاطعاً الحوار مع أي طرف عندما يكون هذا الطرف في موقع متفوق عليه وهو في الموقع الأضعف، أو إذا كان الحوار المزعوم لا

يخدم منذ البداية الأجندة الإيرانية أو لا يصب في مصلحتها أو إذا كان لا يخدم الهدف النهائي الذي يسعى النظام الإيراني إليه.

القاعدة الأولى تدفعنا إلى الحديث عن القاعدة الثانية ألا وهي «ضرورة أن يتمتع الطرفان - على الأقل معنوياً- بحالة من التوازن في القوى أو في المكانة»، وذلك لأن الفارق الكبير في ميزان القوى يجعل الحوار أداة في خدمة الطرف الأقوى أو الطرف المحتل أو الطرف المهيمن، وفي هذه الحالة لا يكون الحوار سوى وسيلة لفرض إرادة الطرف الأقوى على الطرف الأضعف. وعليه فمن غير الحكيم ولا العقلاني أن تتحاور دولة عربية صغيرة أو محدودة الحجم مع إيران ، ومن غير الحكيم أيضاً أن تتحاور دول عربية كبرى معها ما لم تمتلك أوراقاً في يدها.

القاعدة الثالثة هي أنه «من العبثية بمكان الحوار مع طرف يؤمن بشكل مسبق بأنّه لا مشكلة لديه ليتحاور بشأنها» أو أنّ سياساته ليست خاطئة أو أن منهجه غير صحيح، الحوار يحتاج إلى طرف منفتح ومتقبل لمناقشة ما لديه، والجانب الإيراني أثبت مراراً وتكراراً بأنّه جانب غير منفتح على حوار حقيقي، وأن غالبية الحوارات إنما جاءت إما لتنفيس حالة الاحتقان ضده، أو لتجنب ضغوط، أو للتغطية على أفعاله.

النظام السياسي الإيراني أشبه بوحش «هيدرا» الأسطوري المتعدد الرؤوس، وهذه الطبيعة تمنح النظام الإيراني الأفضلية في التملص من نتائج أي حوار في الوقت والزمان المناسبين. وحتى مع افتراض التوصل إلى نتائج إيجابية مع أحد هذه الرؤوس سرعان ما يطعن بها الرأس الآخر وتفقد أهميتها.

أمّا إذا انتقلنا إلى المشاكل المتعلقة بالنظام الذي يدعو هؤلاء إلى محاورته ألا وهو إيران، فعندها سنجد أنّ المشاكل المتعلقة بالحوار أكبر بكثير مما سبق وذكرناه. أهم هذه المشاكل على الإطلاق هي «الوجوه المتعددة للنظام الإيراني».

فالنظام السياسي الإيراني أشبه بوحش «هيدرا» الأسطوري المتعدد الرؤوس، وهذه الطبيعة تمنح النظام الإيراني الأفضلية في التملص من نتائج أي حوار في الوقت والزمان المناسبين. وحتى مع افتراض التوصل إلى نتائج إيجابية مع أحد هذه الرؤوس سرعان ما يطعن بها الرأس الآخر وتفقد أهميتها، بعض الرؤوس يقوم النظام الإيراني بنفسه بتغييرها أيضاً، وبالتالي هناك مشكلة في تحديد الجهة الصالحة للحوار أولاً، ولا يوجد ضمانة لاستمرار نتائج أي حوار أو الالتزام به من قبل النظام الإيراني ثانياً.

أمّا العامل الثاني فهو «الازدواجية الإيرانية المتعددة المستويات». النظام الإيراني نظام مزدوج، هناك ما يقوله في العلن وهناك ما يختلف عنه و يقوله في السر، وهناك عمل مؤسساتي علنيّ وهناك عمل عصابات يقوم به تحت الأرض، وهناك ما يقوله لك أمامك وهناك ما يفعله ضدك خلفك، ومن الصعب جداً في ظل هذه الازدواجية إقامة حوار مع مثل هذا النظام خاصّة إذا لم يكن هناك سيطرة على هذه الازدواجية وهو أمر مستحيل عندما يتعلق الأمر بإيران لأنها جزء من طبيعة النظام. هذا يذكرني بمن يقول إنّ العقرب لا يلدغ لأنه شرير بل لأن ذلك جزء من طبيعته، وفي الحالة الإيرانية فقد يكون الاثنان معاً!

العامل الثالث المتعلق بطبيعة النظام الإيراني الذي يقوده المرشد هو «مبدأ التقيّة السياسية» الذي يتّبعه. لقد طوّر هذا النظام مع مرور الزمن مبدأ «التقيّة» بشكل فريد جداً من مبدأ مذهبي بمفهومه ومعناه الشيعي إلى مبدأ سياسي. التقية السياسية اليوم تشكل عماد السياسة الخارجية الإيرانية، وهي تختلف عن المراوغة بمراحل. مكمن الأهمية هنا، هو أنّك لا تستطيع أن تتحاور مع جهة لا تثق بها وتعرف أنها كاذبة، فهذا بحد ذاته كفيل في إعطائها أفضلية في الحوار أو التفاوض لأنك لن تكون قادراً على معرفة إذا ما كان ما يقوله صحيحاً أم لا، صادقاً أم لا، وبالتالي لا

يمكن البناء على ما يتقدم.

أما المستوى الثالث لنقاشنا فهو الكيفية التي يفهم النظام الإيراني فيها الدعوة إلى الحوار من قبل أي طرف آخر. الإيرانيون تاريخياً يمجّدون الحاكم القوي الصلب الذي يتحدى الآخرين، وهذه ربما حالة مشتركة مع المشرقيين عموماً، لكنّ الإيرانيين يتخطونهم بمراحل تصل إلى حد عبادة الحاكم. هذه صفة موجودة في إيران التاريخية والحديثة، الملكية والجمهورية، العلمانية والدينية. نظام الولي الفقيه لا يختلف بشيء عن الشاهنشاه، وإنما بصبغة دينية تضفي على القائد حالة من الألوهية لناحية العصمة والطاعة وغيرها من المفردات والمفاهيم. ولا أعرف في هذه الحالة كيف من الممكن التوصل إلى نتيجة عبر الحوار مع المعصوم أو من ينوب عنه!

على كلٍ، الحوار يتم في العادة للتوصل إلى تسوية، والتسوية في الثقافة الإيرانية ولدى هذا النوع من الأنظمة هي مؤشر على حالة ضعف وخضوع (ما لم تتضمن ما يريده الجانب الإيراني)، وبالتالي سيكون من العبث الحوار مع من هو غير مستعد حتى للإيمان بفكرة أن الحوار هدفه مناقشة المشكلة للتوصل إلى حل.

أضف إلى ذلك أن ليس هناك من دافع يلزم إيران بقبول الحوار إذا لم يخدم أجندتها الخاصة، ولأن الطرف الداعي الآن هو في موقع أدنى من إيران حيث تحتل الأخيرة أربعة بلدان من بلدانه، فإن الدعوة إلى الحوار من قبل هذا الطرف هو تأكيد في الذهنيّة الإيرانية لحالة الضعف، ولذلك فإن الدعوة إلى الحوار فضلاً عن الحوار نفسه في هذه الظروف والأوضاع لا يخدم إلا إيران نفسها، فالإيرانيون ينظرون إلى أية دعوة للحوار معهم على أنها اعتراف بشرعية أفعالهم وبقوّتهم وبأنها استسلام من قبل الطرف الآخر.

هناك نماذج عملية على كل القواعد التي ذكرتها أعلاه في الحوار بين إيران والعرب وإيران وغير العرب ولن أكتبها هنا لأن المقال لا يتسع لذكرها. إيران غير مهتمة بالحصول على شي من العرب في أي حوار، هي تريد توسيع دائرة نفوذها وولائها وقد حصلت على أربع دول عربية بالقوة وليس بالحوار. وإذا كان ولا بد من الحوار، فليتفضل هؤلاء باسمهم وليجروا حواراً سرياً معها، فإذا وجدوا ما ينفعهم من إيران فليجعلوه علنياً، وأنا واثق من أنّهم لن يجدوا شيئاً.

هناك من يقول بعد كل ما ذكرناه، «ما المطلوب إذاً»؟!. المطلوب هو عدم إعطاء إيران في هذه المرحلة بالتحديد شرعية عربية أو إسلامية أو سنيّة لعملية الاحتلال التي تديرها في العالم العربي، وأن تحتل العالم العربي من دون شرعية أو غطاء أفضل بكثير من أن يتم العكس. وعلى من يريد الحوار مع إيران إدراك أن هذه الدعوة عبثية ما لم تقترن بإدارة «سياسة استنزاف» ضد إيران قبل الجلوس معها على أية طاولة حوار أو مفاوضات.

هناك من يقول إن الساحات العربية تستنزفها الآن بالفعل. أنا لا أتفق مع هذا التقييم حالياً، ولا أرى أنه دقيق كفاية، وقد سبق وشرحته في مقال «ما هي حظوظ العرب في إيقاف الزحف الإيراني»، ذلك أن الاستنزاف لا يأتي لوحده وإنما بحاجة إلى سياسة وإلى من يديره وإلى من يوجهه باتجاه إيران، وهذا غير موجود الآن لا في سوريا ولا في العراق ولا في لبنان ولا في اليمن، فهذه الساحات متروكة للفوضى ومن يتم استنزافه هناك وقتله وذبحه وتشريده وتدميره هم العرب وليس الإيرانيين.

لا شك أن هناك تكاليف على النظام الإيراني تحملها، ولا شك أنه درسها بعناية قبل أن يقرر الرمي بثقله في كل هذه الساحات العربية، ولكنها قليلة مقارنة بما حققه، كما أنّها لا تزال في الحد الأدنى المقبول بالنسبة له، وإذا ما أردنا التفاوض معه فيجب جعل تكاليفه باهظة وأكبر من قدرته على التحمل، وكل حوار خارج هذه

المعادلة هو فاشل قبل أن يبدأ ولا يخدم إلا المشروع الإيراني.

التقارب الإيراني – الأميركي والعلاقات التركية – الإيرانية: الفرص والتهديدات المحتملة

د. محمد جابر ثلجي – الجزيرة نت ٢٠١٥/٤/١

(بمناسبة إتمام صفقة أمريكا/ إيران، نعيد نشره بدون الرسوم التوضيحية والهوامش.) الراصد

ملخص: على الرغم من أهمية التقارب الإيراني- الأميركي في حفز تركيا على تعزيز علاقاتها مع إيران، فإن هذا العامل لا يعتبر الدافع الوحيد لتقوية العلاقات بين البلدين؛ فقد تحركت الحكومة التركية تجاه إيران انطلاقًا من مجموعة عوامل تحقق مصالحها الاستراتيجية، ولاقى هذا التوجه أصداء إيجابية لدى الرئاسة الإيرانية الراغبة في التغيير؛ وقد أعطى التقارب الأميركي- الإيراني هذه العوامل دفعة قوية من خلال زوايا مختلفة، اتجه البلدان إلى إعادة العلاقات بينهما؛ وذلك على الرغم من بقاء التصادم بين وجهات النظر فيما يخص الأزمة السورية، التي تسببت في إحداث انكسار واضح في منحنى هذه العلاقات، التي بدأت في الصعود المتسارع منذ تولي حكومة العدالة والتنمية زمام الحكم في تركيا. ومن المتوقع أن تشهد الفترة المقبلة من العلاقات بين إيران وتركيا محاولات للبحث عن وجهات نظر مشتركة في المسألة السورية؛ وإن كانت غير موجودة في هذه المرحلة. وعلى الرغم من أن التقارب الغربي الإيراني - خاصة الأميركي- الإيراني- يمكن أن يحقق فوائد اقتصادية قصيرة المدى بالنسبة إلى تركيا؛ فإنه يمكن أن يتسبب بإلحاق الضرر بمصالحها الاستراتيجية في المنطقة على المدى البعيد؛ وذلك من خلال زيادة نفوذ إيران على حساب نفوذها.

شهد العام الماضي ٢٠١٣ تطورات مهمة على المستويين الداخلي والخارجي لكل من تركيا وإيران؛ ساهمت في جعل كلا البلدين يراجعان علاقاتهما، التي دخلت في مرحلة من التوتر بعد الأزمة السورية. وكان من أهم المتغيرات التي ظهرت في نهاية العام الماضي، التقارب الإيراني الأميركي الذي حدث بعد الاتفاق النووي لمجموعة خمسة زائد واحد وإيران في ٢٤ من نوفمبر/تشرين الثاني من العام الماضي ٢٠١٣. وقد جاء هذا التقارب كنتيجة للسياسة الانفتاحية الجديدة التي ابتدأتها إيران مع مجيء حسن روحاني في صيف ذلك العام. ولمجموعة من العوامل الداخلية والخارجية - التي تزامنت مع حصول التفاهم الإيراني- الأميركي، فقد اتجه البلدان إلى تعزيز العلاقات بينهما.

وعلى الرغم من بقاء التصادم بين وجهات النظر فيما يخص الأزمة السورية؛ أبدت تركيا رضاها عن التقارب الأميركي- الإيراني، ووصف وزير خارجية تركيا هذا التقارب بقوله: «إنه هدف لطالما سعت تركيا إلى تحقيقه وصرفت جهودًا كبيرة للتوصل إليه، ومن شأن هذا التقارب أن يساهم في زيادة التعاون الاقتصادي بين البلدين، وأن يخفض من وتيرة التوتر في المنطقة»(١).

وعلى الرغم من عبارات التفاؤل والترحيب التي تناولها القادة الأتراك في وصفهم لهذا التقارب؛ فإن تركيا تضع في حساباتها عناصر التهديد التي يمكن أن تنتج عنه، لاسيما وأن العلاقات التركية- الإيرانية على مرِّ التاريخ كانت لا تخلو من مظاهر التنافس السياسي حتى في أفضل أحوالها، وقد ظهرت أمثلة هذا التنافس في العراق خلال السنوات التي عقبت الاحتلال الأميركي؛ بصرف النظر عن وجود علاقات تجارية قوية بين البلدين، وظهرت كذلك بشكل جلي في الأزمة السورية، التي حوَّلت هذا التنافس إلى توتر في

العلاقة بينهما.

وقد تسببت الأزمة السورية في إحداث فجوة كبيرة في العلاقات التركية- الإيرانية، وانكسارًا في منحنى هذه العلاقات، التي بدأت في الصعود المتسارع منذ تولي حكومة العدالة والتنمية زمام الحكم في تركيا؛ أما في الفترة التي سبقت الأزمة السورية فقد أدت تركيا دورًا مهمًّا في تخفيض الضغوط السياسية والتجارية المفروضة على إيران؛ وذلك بالتعاون مع قوى دولية أخرى مثل البرازيل، وقد ظهر هذا بشكل خاص عندما صوتت كلٌّ من تركيا والبرازيل ضد القرار التي اتخذ ضد إيران في تلك الفترة(٢).

وقد شكل الاتفاق الذي أبرم بين البرازيل وإيران وتركيا بتاريخ ١٧ من مايو/أيار ٢٠١٠ بخصوص الملف النووي الإيراني أحد أهم المحاولات التركية للتوصل إلى حل سلمي بخصوص الملف النووي الإيراني، وتبنت تركيا استراتيجية أساسية في علاقاتها مع إيرن في تلك الفترة؛ تمثلت في السعي إلى خفض حدة التوتر بين إيران والغرب قدر الإمكان، وقد تعرضت الحكومة التركية لانتقادات واسعة لسعيها إلى تعزيز العلاقات مع إيران في الفترة، وتم وصفها ما تقوم به على أنه تغيير لمحورها السياسي(٣).

ويعتبر التقارب الأميركي- الإيراني عاملاً جديدًا، ساهم مع مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية في تحفيز كلا البلدين لإعادة النظر في علاقتهما المتوترة بسبب الأزمة السورية، كما أن هذا التقارب النسبي يحمل معه مجموعة من الفرص والتهديدات على المستوى الإقليمي.

تهدف هذه الورقة إلى معرفة أثر التقارب الأميركي- الإيراني على العلاقات التركية- الإيرانية؛ وذلك في ظل مجموعة من المتغيرات الجديدة التي طرأت على الساحة السياسية العام الماضي ٢٠١٣، ومعرفة النتائج الإيجابية أو السلبية، التي يمكن أن تتمخض عن هذا التقارب بالنسبة إلى تركيا، ويمكن التعبير عن هذين الهدفين من خلال السؤالين التاليين:

١.ما أثر التقارب الأميركي- الإيراني على العلاقات التركية- الإيرانية؟

٢.ما الفرص والتهديات التي يمكن أن تواجهها تركيا نتيجة التقارب الأميركي- الإيراني؟

وللإجابة عن هذين السؤالين ستتناول هذه الورقة مبحثين؛ المبحث الأول: يتناول دور التقارب الأميركي- الإيراني مع مجموعة من المتغيرات الداخلية والخارجية الجديدة للبلدين في التأثير على مستقبل العلاقات التركية- الإيرانية، والمبحث الثاني يتناول الفرص والتهديات التي يمكن أن تواجهها تركيا نتيجة هذا التقارب.

١- التقارب الأميركي- الإيراني والمتغيرات الجديدة في العلاقات التركية- الإيرانية

تعد الزيارات المتبادلة بين وزيري خارجية تركيا وإيران خلال الأشهر الماضية، والزيارة الأخيرة التي قام بها رئيس الوزراء التركي لإيران في ٢٩ من يناير/كانون الثاني من هذه السنة ٢٠١٤، وزيارة الرد المرتقبة من الرئيس روحاني خطوات مهمة في مسار خفض حدة التوتر، التي عاشها البلدان خلال السنتين السابقتين، وتعطي - أيضًا- إشارة إلى رغبة كلا البلدين إلى إعادة أجواء التعاون المشترك، التي ارتبط بها البلدان قبل اشتعال الأزمة السورية(٤). ويمكن القول: إن السعي نحو تفعيل العلاقات التركية- الإيرانية لم يكن وليد الصدفة؛ بل هو مرتبط بعوامل خارجية وداخلية تتعلق بالاتجاهات السياسية الجديدة التي اتخذتها الولايات المتحدة الأميركية تجاه إيران والأزمة

السورية، وشعور البلدان - كقوى إقليمية - بعدم قدرتها على استيعاب الأزمة السورية، وتعرض العلاقات التركية - الأميركية لنوع من عدم الانسجام في أكثر من قضية في الأشهر الأخيرة، وشعور الحكومة التركية بتعرضها لتهديدات داخلية خارجية؛ إضافة إلى اتجاه إيران إلى إعادة تشكيل استراتيجيتها الخارجية في هذه المرحلة(٥).

ويبدو أن كلاً من تركيا وإيران قد أدركتا أن وجود خلافات وتصادمات أساسية في قضايا المنطقة؛ وعلى رأسها الأزمة السورية؛ لا يجب أن يحول دون استثمار نقاط التوافق، التي تصب في مصلحة كلا البلدين؛ لاسيما في مجالات التعاون التجاري، وكمثال على وجود عناصر التناقض والتوافق هذه وأثرها على العلاقات السياسية بين البلدين تبادل تصريحات شديدة اللهجة بين وزيري خارجية البلدين في سويسرا، قبل زيارة رئيس الوزراء التركي لطهران بأسبوع(٦).

ومن أبرز ملامح المرحلة الجديدة من العلاقات التركية - الإيرانية، ونتيجة لهذه العوامل المختلفة أن الأزمة السورية لم تعد المحدد الوحيد للعلاقة بينهما كما كانت عليه في السنتين السابقتين؛ ومن هنا فرغم أهمية التقارب الأميركي - الإيراني الذي حدث عقب الاتفاق النووي مع إيران في حفز تركيا لإعادة علاقاتها مع إيران، فإن هذا العامل لا يعتبر الدافع الوحيد لإعادة العلاقات بين البلدين؛ بدليل اتجاه تركيا لإقامة علاقات استراتيجية مع إيران - في الفترة التي سبقت اندلاع الأزمة السورية - متجاوزة علاقات العداء العلنية بين إيران والولايات المتحدة؛ ومن هنا فقد تحركت الحكومة التركية تجاه إيران انطلاقًا من مجموعة عوامل تحقق مصالحها الاستراتيجية في المنطقة، وقد أعطى التقارب الأميركي - الإيراني هذه العوامل دفعة قوية من خلال زاويا مختلفة.

ويبدو أن الاهتمام الكبير الذي أنيط بالاستراتيجية الجديدة للإدارة الأميركية تجاه إيران، جعل أن الساسة الأتراك ينظرون إليها بنوع من الواقعية، ويرون أن التقارب الأميركي - الإيراني لم يصل إلى درجة الثبات والتأثير بعدُ، وما تزال آثاره الإقليمية محدودة، وقد انتقد الرئيس التركي عبد الله غول التحليلات التي ذكرت أن التفاهم الأميركي - الإيراني الأخير سيؤدي إلى تغيير العلاقات الاستراتيجية في المنطقة، ووصفها على أنها تحليلات مبالغ فيها(٧). لكن الخارجية التركية تتبع استراتيجية استباق الأحداث، ومحاولة المشاركة فيها بدل الابتعاد عنها وانتظار نتائجها، ومن هنا فدخولها في فلك التقارب الأميركي - الإيراني يُعَدُّ خطوة في مجال اقتناص الفرص، والتقليل من التهديدات قدر الإمكان.

وتعد القضايا المتعلقة بإيران من المحاور الرئيسة في العلاقات التركية الأميركية، وقد أوضحت الدراسة التي قامت بها مؤسسة الدراسات الاستراتيجية العالمية في تركيا (USAK) - كما في الجدول التالي - أن القضايا المتعلقة بإيران كانت على رأس مواضيع الزيارات الرسمية، التي قامت بها الولايات المتحدة الأميركية إلى تركيا خلال الأربع سنوات الماضية؛ وذلك بالاشتراك مع قضايا أخرى؛ مثل: محاربة الإرهاب، وسوريا، والعراق، وإسرائيل(٨). ومن هنا فمن المتوقع أن تدخل تركيا على خط العلاقات الأميركية - الإيرانية المقبلة، وتشارك في أي مشروع سياسي يمكن أن يتمخض عن النتائج الإيجابية لهذه العلاقات.

أ. فشل القوى الإقليمية في حل الأزمة السورية

تقع الأزمة السورية على رأس المحددات السياسية للعلاقات التركية - الإيرانية، وقد

ساهمت هذه الأزمة في حصول تصادم بين الطرفين منذ اشتعال الأزمة السورية، ومع توافق القوى العالمية على انعقاد جنيف ٢ للبحث عن حل لهذه الأزمة، تبيَّن فشل القوى الإقليمية المؤثرة في هذه الأزمة - وعلى رأسها تركيا وإيران- في إدارة هذه الأزمة، ومن هنا يمكن قراءة توقيت الزيارة التي قام بها وزير خارجية تركيا - التي جاءت بالتوازي مع انعقاد جنيف ٢- كمحاولة من قبل القوتين الإقليميتين الأكثر تأثيرًا وتأثرًا بهذه الأزمة؛ وذلك لاستعادة دوريهما كقوى إقليمية، والاستفادة من نقاط التفاهم المشترك لاسيما العلاقات التجارية(٩).

وقد سارت العلاقات التركية الأميركية بنوع من التناغم؛ فيما يخص أحداث الربيع العربي والأزمة السورية؛ لكن السنة الماضية حملت معها نوعًا من التباعد في وجهات النظر؛ خصوصًا فيما يتعلق بعدم اتخاذ الولايات المتحدة قرارًا حازمًا بشأن النظام السوري؛ خاصة بعد استخدامه الأسلحة الكيمائية ضد المدنيين، وعدم وضوح البيت الأبيض في توصيف الانقلاب العسكري الذي حدث في مصر، وقد مثلت هذه الحالة نوعًا من عدم الانسجام الذي يحدث بين القوى العالمية والقوى الإقليمية(١٠). ومن هنا فإن توجه تركيا إلى التقارب مع إيران جاء منسجمًا مع التقارب الأميركي والإيراني، لكن تركيا تسعى من خلال هذا التقارب إلى البحث عن استراتيجية جديدة لحل الأزمة السورية؛ وذلك للحفاظ على مصالحها الاستراتيجية، والحصول على بدائل تعوضها عن العلاقات المتأزمة أو المتوترة، التي حدثت على المحورين الغربي والعربي.

ب. البحث عن قنوات اتصال تعويضية

وجدت الحكومة التركية نفسها خلال السنة الماضية أمام ضغوطات وتحديات داخلية وخارجية عديدة؛ منها: أحداث التقسيم وملفات الفساد، التي فتحها القضاء ضد مقربين من حزب العدالة والتنمية، والتصادم مع جماعة فتح الله غولان، كما وجدت الحكومة التركية نفسها أمام خلافات سياسية مع العديد من دول المنطقة؛ مثل: مصر، والعراق، والسعودية، والإمارات؛ أضيف إلى علاقتها المتأزمة مع سوريا وإيران؛ ومن هنا فقد سعت السياسة الخارجية التركية إلى إعادة حساباتها السياسية على المستوى الإقليمي(١١). ولذلك فإن دخول تركيا في علاقة متأزمة مع إحدى القوى الإقليمية المهمة - مثل مصر- يجعلها تفكر في إعادة علاقتها مع إيران؛ حتى لا تجد نفسها في عزلة دولية على المستوى الإقليمي، لاسيما بعد ظهور محور سعودي مصري مدعوم فرنسيًا وتقارب إيراني- أميركي(١٢). وعلى الصعيد الداخلي فيمكن استنتاج البصمات الأميركية للتهديدات الداخلية، التي تعرضت لها الحكومة التركية في الشهور الأخيرة؛ وخصوصًا في العملية الأمنية الأخيرة بتاريخ ١٧ من ديسمبر/كانون الأول من السنة الماضية، وتلميح قيادات حزب العدالة والتنمية إلى وجود قوى خارجية تحرك القوى الداخلية ضد الحكومة.

وفي الجانب الإيراني فالتقارب الكبير نسبيًا - الذي حدث بين الولايات المتحدة وإيران- يمكن أن ينقلب في أي وقت رأسًا على عقب؛ إذا ما عادت إيران تضع خطوطًا حمراء فيما يتعلق بملفها النووي؛ ومن الأدلة على عدم اكتمال صورة هذا التقارب استبعاد إيران من حضور أعمال مؤتمر جنيف٢(١٣). وعلى الصعيد الداخلي فقد زادت الضغوطات الاقتصادية في الداخل الإيراني مع ارتفاع نسبة التضخم، وزيادة الأسعار، وقد تسببت

العقوبات الاقتصادية المفروضة على إيران بخسارة ما يقارب ٦٥٪ من عوائدها القادمة من المنتجات النفطية، كما أن العجز في العملات الأجنبية قد تسبب في انخفاض الريال الإيراني إلى مستويات قياسية خلال السنوات القليلة الماضية(١٤)؛ ومن هنا تسعى كلٌ من تركيا وإيران إلى تعويض خسائرهما المحتملة على المستويين الإقليمي والعالمي.

ج. خطر الميليشيات الكردية في شمال شرق سوريا على الأمن التركي

تقع المسألة الكردية في أولى اهتمامات الدولة التركية، وتجعلها هذه المسألة تدرس حساباتها جيدًا في علاقتها مع الدول التي تضم الأكراد؛ مثل: إيران، وسوريا، والعراق(١٥)؛ ومن العوامل المهمة والأساسية التي فرضت على تركيا إعادة علاقاتها مع إيران شعورها بخطر ميليشيات حزب الاتحاد الديمقراطي المعروفة بوحدات حماية الشعب (YPG)، التي حققت مكاسب عسكرية على الأرض في مناطق شمال شرق سوريا بالقرب من الحدود التركية، بعد استفادتها من الصراع بين قوات المعارضة السورية وقوات داعش؛ ولذلك كان الملف الكردي من أهم الملفات التي تم طرحها أثناء زيارة أردوغان الأخيرة لإيران في ٢٩ من يناير/كانون الثاني من هذه السنة(١٦)، وتتقاسم كل من إيران وتركيا هواجس مشتركة فيما يخص الجماعات الكردية الانفصالية الموجودة في تركيا وإيران، التي تتعاون مع التنظيمات الكردية الموجودة في كل من العراق وسوريا، ومن هنا يمكن أن يكون هذا الملف أحد الملفات الأساسية التي سيتعاون فيها البلدان مع استمرار علاقاتهما الإيجابية في المستقبل، ويمكن أن يسهم هذا التعاون في تخفيف المخاوف التركية من تأثير الميليشيات الكردية على حدودها الشرقية والجنوبية.

٢- التقارب الأميركي- الإيراني ومستقبل العلاقات التركية- الإيرانية: الفرص والتهديدات

زاد التقارب الأميركي- الإيراني شبكة العلاقات الدولية في منطقة الشرق الأوسط تعقيدًا، وأصبح من الصعب تحديد طبيعة التأثيرات التي يمكن أن تنتج عن هذا التقارب؛ وذلك بسبب صعوبة التنبؤ باستمرارية هذا التقارب، والحدود التي يمكن أن يتوقف عندها، وإلى جانب الفرص التي يمكن أن يجلبها هذا التقارب لبعض القوى الإقليمية؛ مثل: العراق، والنظام السوري، نظرت بعض القوى الإقليمية إلى هذا التقارب على أنه تهديد واضح لها، ويمكن أن يتحصل للدولة الواحدة من دول الشرق الأوسط مجموعة من الفرص والتهديدات من هذا التقارب؛ وذلك باختلاف طبيعة علاقاتها مع إيران والولايات المتحدة الأميركية، وقد شعرت الدول التي تقيم علاقات عدائية مع إيران - مثل دول الخليج العربي وإسرائيل- بخطورة هذا التقارب، وعبَّرت بصراحة عن عدم رضاها عنه؛ أما تركيا فنظرت إلى هذا التقارب على أنه أمر واقع، وسعت إلى الاستفادة من الفرص التي يمكن أن تتحقق منه، وتقليل المخاطر التي يمكن أن تنتج عنه، وأعلنت رسميًّا عن دعمها لهذا التقارب(١٧).

أ. الفرص الاقتصادية

قامت الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد الأوروبي بتخفيض العقوبات الاقتصادية المفروضة على إيران؛ وذلك بعد التوصل إلى إزالة الغموض حول أجهزة الطرد المركزي الأكثر حساسية لتخصيب اليورانيوم، والتوصل إلى اتفاق مع إيران حول هذا الخصوص(١٨). ولطالما سعت تركيا إلى إقامة علاقات تجارية أقوى مع إيران؛ لكنه تم الحد من مساعيها هذه بسبب العقوبات الاقتصادية

المفروضة عليها، ووجهت القوى الغربية في الماضي انتقادات عديدة لتركيا بسبب سعيها لإقامة علاقات تجارية قوية مع إيران، أما بعد حصول التقارب الغربي الإيراني، وإذا ما تم الاستمرار في تخفيف هذه العقوبات أو إزالتها، فيمكن لتركيا أن تستغل هذه الفرصة لزيادة حجم تجارتها الخارجية والحصول على مصادر الطاقة بشكل أسهل وبأسعار مناسبة(١٩). ويرى بعض المحللين أن التقارب الغربي - خاصة الأميركي- الإيراني- يمكن أن يحقق فوائد اقتصادية قصيرة المدى بالنسبة إلى تركيا؛ أما على المدى البعيد فيمكن أن يتسبب هذا بإضرار بالمصالح الاستراتيجية التركية(٢٠). ويعود هذا إلى أن التقارب إذا ما استمر في المستقبل فيمكن أن يؤدي إلى زيادة النفوذ الإيراني المنطقة على حساب النفوذ التركي؛ وعلى الرغم من الاحتمالات المتعددة المتوقعة لمستقبل التقارب الإيراني- الأميركي، يبدو أن تركيا قد رسمت خطًّا استراتيجيًّا ثابتًا فيما يخص علاقاتها التجارية مع إيران، ويمكن أن يفهم هذا من خلال الزيارات رفيعة المستوى التي تم تبادلها بين الطرفين؛ وأهمها زيارة رئيس الوزراء التركي الأخيرة لإيران، والإعلان عن تشكيل مجلس رفيع المستوى للتعاون بين البلدين، الذي سيتم تفعيله مع زيارة حسن روحاني المرتقبة لتركيا(٢١).

ويُلاحظ من الجدول التالي أن الزيادة المتسارعة في حجم التبادل التجاري بين البلدين منذ تولي حزب العدالة والتنمية زمام الحكم في تركيا؛ لكن يلاحظ أيضا أن العام الماضي ٢٠١٣ شهد انخفاضًا ملموسًا في حجم التبادل التجاري بينهما؛ وذلك بسبب العقوبات المفروضة على إيران(٢٢)، وتأتي الأهداف الاقتصادية في مقدمة أولويات هذه الزيارة؛ وهذا على الرغم من ثقل التوترات السياسية التي أفرزتها الأزمة السورية بين البلدين(٢٣)، وقد أعلن رئيس الوزراء التركي أن تركيا تستهدف زيادة حجم التبادل التجاري بين البلدين في عام ٢٠١٥ ليصل إلى ٣٠ مليار دولار(٢٤).

وفي مقابل الاندفاع التركي نحو تفعيل العلاقات الاقتصادية إلى أعلى المستويات، لا تزال الولايات المتحدة الأميركية متحفظة على هذا الاندفاع، وترى أنه لم يحن الوقت بعد لمثل هذا المستوى من العلاقات التجارية، وقد جاء هذا التحفظ من خلال الزيارة التي قام بها مستشار وزارة الخزانة الأميركية ديفيد كوهين - الشخصية المكلفة بالإشراف على تنفيذ العقوبات على إيران- لتركيا في ١٩ من ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٣م، التي بيَّن فيها للحكومة التركية ورجال الأعمال طبيعة العقوبات المفروضة ضد إيران، والتدابير اللازمة التي ينبغي اتباعها(٢٥)؛ وقد نصح مسؤول الخزانة الأميركية الشركات التركية تأجيل القيام بالأعمال التجارية في إيران؛ بسبب بقاء العديد من العقوبات في قطاعات البنوك والطاقة والنقل البحري ضد إيران؛ وذلك على الرغم من حصول الاتفاق النووي بين مجموعة خمسة زائد واحد (الولايات المتحدة الأميركية، والصين، وروسيا، وبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا) وإيران في ٢٤ من نوفمبر/تشرين الثاني من العام الماضي ٢٠١٣(٢٦).

ب. البحث عن وجهات نظر مشتركة في الملف السوري

لم تكن علاقات تركيا بكل من إيران وسوريا محددة بشكل أساسي بعلاقات هاتين الدولتين مع الولايات المتحدة الأميركية، وقد نبه وزير الخارجية التركي على هذه الفكرة؛ حيث دلل على أن سبب تأزم العلاقة التركية السورية

واتخاذ تركيا موقفًا معارضًا للنظام السوري هو اتجاه هذا النظام إلى قتل أبناء شعبه ومحاربتهم؛ وبيَّن أن تركيا قبل حصول هذه الأزمة قد أصرت على إقامة علاقات قوية مع سوريا؛ وذلك على الرغم من علاقاتها السلبية مع القوى الغربية، وعلى عكس ما كانت ترجوه تركيا لم تستطع القوى الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية حسم الصراع السياسي الناتج عن الأزمة السورية، واتخذت مسار الطرق الدبلوماسية لإيجاد حل لهذا الصراع؛ ومن هنا تراجعت تركيا خطوة إلى الوراء في تعاملها مع هذه الأزمة، وقررت البحث عن سبل دبلوماسية تقلل من احتمالية الأضرار التي يمكن أن تسببها لها، ومن المتوقع أن تتضمن الفترة المقبلة من العلاقات بين إيران وتركيا محاولات للبحث عن وجهات نظر مشتركة في المسألة السورية (٢٧). ومن المتوقع أن تعمل تركيا على أن تعيد حساباتها من جديد في هذا الملف، وستضطر إلى استخدام استراتيجية أقل حزمًا؛ إذا أرادت أن تكون طرفًا في الحوار الدولي الجاري حول الأزمة السورية(٢٨). وفي المقابل فمع ارتفاع مستوى التقارب المتوقع بين الولايات المتحدة وإيران فإنه من المتوقع أن تعمل الولايات المتحدة على التأثير على وجهة النظر الإيرانية بخصوص الأزمة السورية(٢٩)، ولإزالة الغموض المستقبلي في هذا الشأن فإن النتائج المتمخضة عن جنيف ٢ ستعطي مؤشرات أوضح على إيجابية أو سلبية التقارب الأميركي- الإيراني بالنسبة إلى تركيا(٣٠).

ومن المؤشرات الأولى على سعي تركيا إلى إيجاد وجهات نظر مشتركة مع إيران في هذه الأزمة، ما ذكره وزير الخارجية التركي في المؤتمر الصحفي الذي عقده بطهران، من معارضة بلاده لوجود مقاتلين أجانب على الأرض السورية، وذكر أنه على الجميع أن يعارض فكرة مقاتلين أجانب(٣١). وعلى الرغم من مشاركة الطرف الإيراني بشكل صريح في دعم صمود النظام السوري، سعت تركيا في هذه المرحلة إلى التفريق بين موقفها المبدئي المعادي للنظام السوري، وعلاقاتها مع إيران، كما تسعى تركيا إلى تخفيف عناصر التناقض، التي يمكن أن تنشأ عن دورها في حلف شمال الأطلسي، ووجود قوات له في تركيا، ووجود قواعد عسكرية للولايات المتحدة الأميركية على أراضيها وعلاقاتها مع إيران؛ فعلى سبيل المثال عملت تركيا على طمأنة إيران؛ وذلك بعدما شعرت بالتهديد من أنظمة الصواريخ الدفاعية «باتريوت»، التي عزم حلف شمال الأطلسي وضعها في مناطق جيهان وأضنه وإنجيرليك من الأراضي التركية؛ لكن تركيا أكدت أن هذا النظام غير موجه إلى إيران؛ وإنما الغرض منه حماية الأراضي التركية من احتمالات هجوم يقوم به النظام السوري(٣٢).

ج. احتمالية زيادة التقارب التركي الخليجي

بعد أن تسبب الانقلاب العسكري الذي حدث في مصر في توتر العلاقة بين تركيا والسعودية على محور العلاقات التركية العربية؛ أخذت فجوة هذا التوتر تتقلص مع حصول التقارب الأميركي- الإيراني، فقد شعرت الدول التي يمكن أن تتأثر بهذا التقارب؛ مثل تركيا ودول الخليج بضرورة التحرك المشترك(٣٣)؛ كما أن تركيا تسعى إلى إعادة علاقاتها مع العراق من مختلف النواحي السياسية والتجارية، وقد تطورت العلاقات التجارية بين تركيا والعراق بشكل ملحوظ خلال السنة الماضية؛ خصوصًا في مجال الطاقة؛ فبعد أن كانت تركيا تستورد ما نسبته ٥١٪ من حاجتها للطاقة من إيران قبل عام ٢٠١٣، تراجعت هذه النسبة في عام ٢٠١٣ إلى ٢٨,٥٪، ولجأت تركيا إلى تعويض هذه النقص من خلال الواردات النفطية العراقية،

التي ارتفعت من ١٠٪ عام ٢٠١٢ إلى ٣٢٪ من مجموع مستورداتها النفطية(٣٤)، ويبدو أن تركيا ستسعى من خلال تقوية علاقاتها مع إيران إلى التخفيف من حدة الأزمة الطائفية، التي أخذت تعصف بالمنطقة، التي ظهرت بشكل جلي في سوريا والعراق ولبنان(٣٥).

د. احتمالية تراجع الدور التركي مقابل صعود الدور الإيراني

قبل حصول التقارب الإيراني- الأميركي نهاية العام الماضي، أدت تركيا دور الوسيط بينهما في الفترة التي سبقت الأزمة السورية، أما في هذه المرحلة لم يعد لهذا الدور من مسوغ مع التقاء الطرفين بشكل مباشر، ومع استمرارية هذا التقارب قد يُمنح لإيران فرص أكبر في زيادة نفوذها في أفغانستان ولبنان وسوريا والعراق؛ ومن هنا سيكون لإيران دور أهم من الدور التركي بالنسبة إلى القوى الغربية - وعلى رأسها الولايات المتحدة- من أجل التوصل إلى أهدافها من خلال طرق غير عسكرية(٣٦)، ومن النتائج المتوقعة للتقارب الأميركي- الإيراني احتمالية وجود ساحة نفوذ واسعة للسياسة الإيرانية تشمل مناطق: سوريا، ولبنان، والعراق، والخليج العربي، وهذا بدوره سيحد من الدور التركي في المنطقة(٣٧).

ويبدو أن تركيا - التي تتبنى سياسة خارجية عملية مرنة- لن تقف مشاهدة إزاء هذا الاحتمال، وستحاول المشاركة في أي مشروع سياسي يتعلق بقضايا المنطقة الأساسية؛ وعلى رأسها الأزمة السورية، وستعمل تركيا على موازنة علاقاتها على المحور الإيراني مع علاقاتها على المحور العربي الخليجي تحديدًا، وستسعى إلى تحقيق أكبر قدر من الانسجام بين هذه العلاقات؛ حتى تبقى مرتبطة بجميع القوى الإقليمية، وتستطيع مواجهة التهديدات التي يمكن أن تنشأ عن الصعود الإيراني في المنطقة.

خلاصة

شهد العام الماضي ٢٠١٣ م تطورات مهمة على المستويين الداخلي والخارجي لكل من تركيا وإيران؛ ساهمت في اتجاه كلا البلدين لمراجعة علاقاتهما، التي دخلت في مرحلة من التوتر بعد الأزمة السورية، ومن أهم التطورات التي شهدها العام الماضي فتح صفحة جديدة من العلاقات الأميركية- الإيرانية بعد الاتفاق النووي لمجموعة خمسة زائد واحد مع إيران، ومع الإقرار بأهمية التقارب الأميركي- الإيراني في حفز تركيا لتعزيز علاقاتها مع إيران، فإن هذا العامل لا يعتبر الدافع الوحيد إلى تقوية العلاقات بين البلدين، بدليل اتجاه تركيا إلى إقامة علاقات استراتيجية مع إيران - في الفترة التي سبقت اندلاع الأزمة السورية- دون النظر إلى العداء العلنية بين إيران والولايات المتحدة؛ ومن هنا فقد تحركت الحكومة التركية تجاه إيران؛ انطلاقًا من مجموعة عوامل تحقق مصالحها الاستراتيجية في المنطقة، وقد أعطى التقارب الأميركي- الإيراني هذه العوامل دفعة قوية من خلال زاويا مختلفة؛ مع بقاء التصادم بين وجهات نظر البلدين فيما يخص الأزمة السورية، التي تسببت في إحداث فجوة كبيرة في العلاقات التركية- الإيرانية، وانكسارًا في منحنى هذه العلاقات، التي بدأت بالصعود المتسارع منذ تولي حكومة العدالة والتنمية زمام الحكم في تركيا.

ومن هنا فقد جاء اتجاه تركيا إلى التقارب مع إيران منسجمًا مع التقارب الأميركي- الإيراني، ومع ذلك فإن تركيا تسعى من خلال هذا التقارب إلى البحث عن استراتيجية جديدة لحل الأزمة

السورية؛ وذلك للحفاظ على مصالحها الاستراتيجية، والبحث عن بدائل تعوضها عن العلاقات المتأزمة أو المتوترة، التي حدثت على المحورين الغربي والعربي؛ فقد وجدت الحكومة التركية نفسها خلال السنة الماضية أمام ضغوط وتحديات داخلية وخارجية عديدة؛ منها: أحداث التقسيم، وملفات الفساد التي فتحها القضاء، والتصادم مع جماعة غولان، كما وجدت الحكومة التركية نفسها أمام خلافات سياسية مع العديد من دول المنطقة؛ مثل: مصر، والسعودية، والعراق، وإسرائيل، إضافة إلى سوريا وإيران، ومن هنا فقد سعت السياسة الخارجية التركية إلى إعادة حساباتها السياسية على المستوى الإقليمي؛ ومن العوامل المهمة والأساسية التي فرضت على تركيا إعادة علاقاتها مع إيران شعورها بخطر ميليشيات حزب الاتحاد الديمقراطي، المعروفة بوحدات حماية الشعب (YPG)، التي حققت مكاسب عسكرية على الأرض في مناطق شمال شرق سوريا بالقرب من الحدود التركية، بعد استفادتها من الصراع بين قوات المعارضة السورية وقوات داعش.

ويرى بعض المحللين أن التقارب الغربي - خاصة الأميركي- الإيراني- يمكن أن يحقق فوائد اقتصادية قصيرة المدى بالنسبة إلى تركيا؛ أما على المدى البعيد فيمكن أن يتسبب هذا بإضرار بالمصالح الاستراتيجية التركية، بسبب احتمالية زيادة النفوذ الإيراني المنطقة على حساب النفوذ التركي.

ومن المتوقع أن تشهد الفترة المقبلة من العلاقات بين إيران وتركيا محاولات للبحث عن وجهات نظر مشتركة في المسألة السورية؛ وذلك على الرغم من عدم وجودها حتى هذه الفترة؛ فمن المتوقع أن تعيد حساباتها من جديد في هذا الملف، وستضطر إلى استخدام استراتيجية أقل حزمًا؛ إذا أرادت أن تكون طرفًا في الحوار الدولي الجاري حول الأزمة السورية، وفي المقابل فمع ارتفاع مستوى التقارب المتوقع بين الولايات المتحدة وإيران فإنه من المتوقع أن تعمل الولايات المتحدة على التأثير على وجهة النظر الإيرانية بخصوص الأزمة السورية.

مصر: القوات المشتركة والحل السياسي

خالد الدخيل – الحياة ٢٠١٥/٣/٨

قبيل زيارته الرياض الأسبوع الماضي، طرح الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي فكرة إنشاء قوات عربية مشتركة. قبل ذلك كان يتبنى بهدوء لافت ما يسميه الحل السياسي في سورية. المتأمل في الفكرتين عن قرب سيكتشف أنهما فكرتان منفصلتان في خطاب الرئيس، لا علاقة لإحداهما بالأخرى، ولا تشكلان معاً خطة عمل واحدة، بل يبدو من كلام السيسي أن كل واحدة منهما تتناقض مع الأخرى. الحل السياسي يهدف إلى تلافي استخدام القوة نظراً إلى تعقد الأمور في سورية. أما فكرة القوات المشتركة فتهدف إلى قبول التخلي عن خيار الحل السياسي واللجوء إلى استخدام القوة، إذا ما تطلب الأمر ذلك.

لنفصل في الموضوع أكثر من ذلك. من كلام الرئيس يبدو مقترح القوات العربية المشتركة غامضاً في شكل لافت. ما هي حدود هذه القوة وأهدافها؟ ومن هو المستهدف بها؟ يقول الرئيس أن هدفها دفاعي بحت، وأنها ليست موجهة ضد أي طرف إقليمي. في الوقت نفسه يُفهم من كلام السيسي أن المستهدف الرئيسي وربما الوحيد هو الإرهاب.

في حديثه إلى صحيفة «الشرق الأوسط» يقول

في إجابة عن سؤال عن كيفية مواجهة «داعش» بالنص: «لدينا القدرة على تشكيل قوة ذات شأن ورسالة قوية تؤكد للمتربصين بأنه لا يمكن النيل منا ونحن مجتمعون»، مفردة «المتربصين» معناها مفتوح. من المقصود بالمتربصين؟ يستطرد الرئيس قائلاً: «ولن يتمكن الإرهابيون من الإضرار (بنا) إلا إذا بقينا متفرقين». إذاً، «المتربصون» هم الإرهابيون، ومن ثم فالمستهدف الوحيد بالقوة العربية المشتركة هو الإرهاب؟ حسناً، عن أي إرهاب نتحدث هنا؟ عن الإرهاب السنّي، كما هو في التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة؟ أم عن الإرهاب الشيعي؟ ثم كيف ستكون العلاقة بين هذه القوة العربية المقترحة والتحالف الدولي ضد تنظيم «الدولة الإسلامية» في هذه الحال؟

أظن أن الإرهاب الشيعي لم يرد في ذهن الرئيس المصري، فكل أحاديثه تنصب على إرهاب سيناء و «داعش»، والوضع الليبي.

من جهة أخرى، يستبعد الرئيس أي حل في سورية غير الحل السياسي. موضوع العراق واليمن لا يرد تقريباً في أحاديثه وتصريحاته. كذلك الأمر بالنسبة إلى الدور الإيراني في المنطقة، خصوصاً في كل من العراق وسورية. في المقابل يكثر حديث الرئيس عن سيناء وليبيا وأمن الخليج العربي. كل ذلك يشير إلى أن هدف القوات العربية المشتركة لا يقع في العراق ولا في سورية ولا في اليمن، وإنما في سيناء وليبيا، وما يمكن أن تتعرض له دول الخليج. ماذا عن الحضور الإيراني في اليمن، وجوار الخليج؟ هذا أيضاً يغيب عن أحاديث الرئيس. كما تغيب أخطار الميليشيات التي تمولها وتدربها إيران في المنطقة. عندما سُئل الرئيس السيسي مباشرة في حديثه إلى «الشرق الأوسط» عن «كيف تنظرون إلى علاقتكم مع طهران؟»، تفادى الموضوع تماماً، وركز على أمن الخليج.

ما الذي يمكن استنتاجه من كل ذلك؟ أن الوضع الليبي هو المستهدف الأول دون غيره بفكرة القوات المشتركة. وإذا كان هذا صحيحاً، فإن فكرة هذه القوات ما هي إلا آلية أخرى لدعم مصر، وتأمين غطاء عربي لدور تتوقعه في ليبيا. وهو ما يستدعي سابقة قوات عربية مشتركة في لبنان في سبعينات القرن الماضي، وإلى ماذا انتهت. نعم، مصر ليست سورية، وليبيا ليست لبنان، والزمن الآن ليس كما كان عليه آنذاك، لكن هكذا ينتهي الحديث عن فكرة غامضة لا تفصح عن أهدافها وحدودها، ولا تأخذ هذه التمايزات في الحسبان.

أكثر ما يؤكد غموض اقتراح القوات المشتركة أنه - كاقتراح عربي - من دون برنامج سياسي أو استراتيجية واضحة تأخذ في الاعتبار اهتمامات الدول المشاركة ومصالحها، والإطار السياسي المحلي والإقليمي للإرهاب بكل صيغه وتمظهراته. هنا، تبدو مصر في اقتراح الرئيس مثل أميركا وبقية الدول العربية، معنية بالإرهاب السُنّي الذي يهدد الحكم، من دون اهتمام بالإرهاب، بجانبيه السُنّي والشيعي الذي يهدد الدولة قبل أن يهدد الحكم.

هنا من المهم استعادة سابقة أخرى ذات صلة مباشرة، وهي أن مصر في مناسبتين متباعدتين في الزمن أرسلت قوات لحماية الكويت من التهديدات العراقية. حصل ذلك في عهد جمال عبدالناصر عام ١٩٦١، وفي عهد حسني مبارك عام ١٩٩٠. في عهد الأخير شاركت مصر بقوات في عملية تحرير الكويت من الاحتلال العراقي.

الآن، تبدو مصر أكثر من هادئة أمام توغل إيران العسكري والسياسي والاستخباراتي في كل من العراق وسورية ولبنان واليمن. ترى ماذا يعني في هذه الحالة أن «أمن الخليج خط مصري أحمر»؟

الإرهـاب وإيـران همـا مـصدر الخطـر الرئيـسي لـيس فقـط علـى الخلـيج العربـي، بـل علـى العـالم العربـي ككـل. هـل كـان تطلـع النظـام العراقـي للتوسـع في عهـد عبـدالكريم قاسـم اليـساري، ثـم في عهـد صدام حـسين البعثـي، أكثـر خطـورة علـى أمـن مـصر مـن توسـع إيـران في عهـد الملالـي وولايـة الفقيـه؟ هـل أمـن العـراق والـشام وسـيادتهما أقـل أهميـة بالنـسبة لمـصر مـن أمـن الخلـيج وسـيادته؟ أمـن مـصر يبـدأ مـن الـشام. وأمـن الجزيـرة العربيـة والخلـيج امتـداد لأمـن بـلاد الرافدين والشام.

أمـام هـذه الحقيقـة لمـاذا تبـدو القـاهرة أكثـر تفهمـاً، وأكثـر مـيلاً للتـؤدة والهـدوء أمـام انفـلاش الـدور الإيرانـي ممـا كانـت عليـه أمـام طموحـات العـراق في القـرن الماضـي؟ كيـف يمكـن تفـسير ذلك؟

عنـدما نـأتي إلى فكـرة الحـل الـسياسي في سـورية نواجـه الغمـوض نفـسه والارتبـاك ذاتـه. الكـلام عن حل سياسي في سورية كـلام جميل بعد كـل هـذه الـدماء، وكـل هـذا الـدمار. لكنـه لـيس أكثـر مـن ذلـك. لمـاذا؟ لأنـه حتـى الآن كـلام عـام لا يقـدم تـصوراً واضـحاً لحـل، ولا عناصـر ومعطيـات هـذا الحـل. مـا هـو الحـل الـسياسي الـذي يتـصوره الـرئيس السيـسي؟ أقـصى مـا وصـل إليـه هـو قولـه لـ «الـشرق الأوسـط»: «ومعنـى حـل سياسـي سـلمي لـن يكـون الحـل لمـصلحة طـرف واحـد وإنمـا لمـصلحة الجميـع، وأعـني المعارضـة والنظـام في ظـل البحـث عـن مخـرج حقيقـي، ثـم نبـدأ في معالجـة الملفـات الأخطـر التي تؤثر في الأمن القومي العربي».

الإشـكال أن قيـادة النظـام الـسوري لا تعتـبر نفـسها متـساوية مـع الجميـع حتـى تقبـل بمثـل هـذا الحـل. تغيـب عـن فكـرة الـرئيس المـصري مـسألتان مهمتـان: الأولى أن النظـام الـسوري لم يكـن مـن قبـل، ولـيس الآن في وارد حـل سياسـي. هـذا النظـام عـائلي طـائفي مغلـق، يـستند - خـصوصاً في عهـد بـشار الأسـد - إلى مبـدأ مغلـق لتحـالف الأقليـات داخـل سـورية وعلـى مـستوى المنطقـة. أي حـل سياسـي لا يأخـذ هـذه المـستندات في اعتبـاره يهـدد بنـسف طبيعـة النظـام مـن أساسـه وجـذوره. حـاول كـوفي أنـان وفـشل، ثـم حـاول الأخـضر الإبراهيمـي وفـشل أيـضاً، المنـدوب الأممـي الأخـير دي ميـستورا تواضـع وقبـل بفكـرة وقـف لإطـلاق النـار في حلـب فقـط. المـسألة الثانيـة الـتي تغيـب عـن مقـترح الحـل الـسياسي، أن إيـران باتـت - مـن خـلال دعمهـا العـسكري والمالي والـسياسي للنظـام - شـريكة في أمـر البـت بقبـول هـذا الحـل أو رفـضه، ولأن النظـام معـزول عربيـاً ودولياً لم يعد البت في هذا الموضوع حقاً حصرياً له.

الـسؤال في هـذه الحالـة: هـل يـدرك الـرئيس السيـسي حجـم الاسـتثمار الـسياسي والمـالي والعـسكري والبـشري الـذي وضـعته إيـران في سـورية؟ هـل هـو متأكـد مـن أن إيـران سـتقبل بحـل سياسـي ينتهـي في الأخـير، علـى رغـم كـل ذلـك، إلى إخراجهـا مـن سـورية؟ ثـم هـل يقبـل النظـام الـسوري بفكـرة حـل «يكفـل مـصالح الجميـع» بعـد أن رفـضه منذ أكثر من أربع سنوات؟

بعبـارة أخـرى، هـل هنـاك إمكـان لحـل سياسـي في سـورية مـن دون تحييـد لكـل هـذه العقبـات الـتي تمنـع خيـار الحـل الـسياسي، وهـي عقبـات سمـح لهـا عربيـاً ودوليـاً بـالنمو، ومـن بـين مـن سمـح بـذلك مـصر في عهـد «الإخـوان»، وبعـد عـودة الجـيش إلى الحكـم هنـاك؟ ولا يمكـن حـصول هـذا التحييـد إلا بإعـادة التوازنـات العـسكرية علـى الأرض بـين الأطـراف الـتي يـراد حفـظ مـصالحها في هـذا الحـل. مجاملـة إيـران لحـسابات غـير واضـحة لـن تـساعد في تحقيـق الحـل الـذي يتطلـع إليـه الـرئيس المـصري. هـل يمكـن أن السيـسي لا يـرى إمكـان حـل سياسـي في سـورية، وإنما يريد شراء الوقت بمثل هذا المقترح؟